بحث حول الفن الشعبى وأثره فى التكوين النفسى للطفل



إبراهيم محمد بعلوشة

جمهورية مصر العربية
وزارة الإعلام
الهيئة العامة للاستعلامات

بحث حول الفن الشعبى
وأثره فى التكوين النفسى للطفل

« ابراهيم محمد بطوشة »

المقـــــدمة

يبرز الفن الشعبى بصوره واشكاله المختلفة .. فى مقدمة العوامل التى تؤثر فى بناء شخصية الطفل ، وفى احداث الاثر فى تكوينه النفسى .

ورغم هذه الاهميه . .نجد ان البحوث والدراسات التى تناولت هذا الجانب بشكل مركز ومباشر .. قليلة اذا قيست بأهمية الموضوع . وقد تلمست بعض ما جاء فى هذا الشأن فى مؤلفات وكتابات قليلة .. تركز غالبيتها اما على الوان الفنون الشعبية ، والتراث والادب الشعبى .. واما على سيكولوجية الطفولة .

وفى هذا البحث الموجز .. احاول ان اقدم شيئا فى هذا المجال .. لعله يفى ببعض الفائدة .. ويخدم هذه المسألة الهامة .

تمهيـــــد

يتناول الجانب العملى من هذا البحث .. عينات من اطفال المدينة والقرية قوام كل عينة منها عشرة اطفال ، وهى عينات رمزية اوحدتها ظروف هذا البحث الضيقة ، والتى تتعلق بالفترة الزمنية المحددة لاتمامه الى جانب ضيق المساحة المكانية المتاحة ، مع ملاحظة ان الجانب النظرى فى هذا البحث ذو اهميــة كبيرة ، ومن خلاله يبرز الكثير من ملامح الاثر النفسى الذى تتركه الفنــون الشعبية فى نفسية الطفل .

وحتى تتضح معالم هذا البحث .. رايت ان اجعل الجانب النظــرى قسمين :

القسم الاول : يتناول خصائص الطفل واتجاهاته النفسية وكيف ينمو ويتعلم .

القسم الثانى : يتناول الفنون الشعبية بمختلف جوانبها ، واثر هــذه الفنون فى التكوين النفسى للطفل .

وقد استرشدت فى هذا البحث بالعديد من الكتب والمؤلفات التى تتصل به الى جانب مقابلاتى واتصالاتى الشخصية .

اما الجانب العملى فى هذه الدراسة .. فقد انتهجت فيه بشكل مبسط اكثر من منهج من مناهج الدراسة .. وفى مقدمتها المنهج التجريبى والمنهج الوصفى ، معتمدا فى ذلك على الطرق التالية

المقابلة الشخصية ، الملاحظة لدراسة الانفعالات ، ثم الوثائق المدونة .

الباب الأول

من هو الطفل .. وكيف ينمو ويتعلم

يعتبر التعرف على الطفل .. شيئا عظيم الاهمية قبل الخوض فى اشكال الفن الشعبى لمعرفة اثره فى هذا الطفل ..

وبداية .. يتبادر لاذهاننا هذا السؤال : من هو الطفل ؟ ..

وفى ايضاح هذا .. ذكر الشاعر الانجليزى « وود ورث » فى احدى مقطوعاته الشعرية (١) ان الطفل هو ابو الرجل من الناحية السيكولوجية ، ومعناها ان خبرات سنيه الاولى لها ابلغ الاثر فى حياته اللاحقة كلها .

وقبل ذلك .. ذكر بعض العلماء الاقدمين العاملين فى ميدان التربية ان الطفل عبارة عن « رجل مصغر » واذا تفحصنا هذه الاراء .. نجد فيها شيئا من الصحة والقرب من الحقيقة .. وذلك باعتبار ان خصائص الرجل موجودة فى الطفل الصغير ، كل ما هناك اختلاف فى الدرجة او الكم وليس فى النوع . ويتفق القول بان الطفل رجل مصغر مع ما يقوله علماء علم النفس التكوينى من ان الطفل هو رجل مقبل ، رجل فى حالة نمو .

والطفل على عكس جميع الكائنات الحية .. يخرج الى الحياة دون ما قدرة على مواجهة مستلزماتها (٢) .. كما انه يخلو تماما من المهارات التى تمكنه من حماية او ممارسة اى شىء من شئون حياته ، فهو كائن حى ادمى الصورة ، فطرى الطبع والمسلك . ولكن فطرته عاجزة ومسلكه عشوائى لا يرتبط بمشيئته لانه لا مشيئة له بعد .

والتنشئة الاجتماعية للطفل هى عملية بناء شخصيته التى يتحول خلالها من كائن بيولوجى عند مولده الى كائن اجتماعى يتعلم ممن سبقوه الى الحياة وينمى استعداداته وتنقل اليه من خلال هذه العمليات ثقافة المجتمع ومعتقداته وتقاليده وقيمه وقوانينه ونظمه ، فيتحول من كائن عضوى الى كائن انسانى اجتماعى .

وتمشيا مع هذا الفهم العام للطفل .. نستطيع القول بان هناك اساليب يتميز بها الطفل الصغير ..

---

(١) سيكلوجية الطفولة والمراهقة ــ د. مصطفى فهمى ــ مكتبة مصر ص.

(٢) الجماعات بين التنشئة والتنمية ــ عبد المنعم هاشم .

فما هى خصائص الطفولة ؟؟ . . .

اذا دققنا فى خصائص الطفولة .. نجد فى مقدمتها السلوك العفوى للطفل . .

فسلوك الطفل لا نرى فيه غرضا او هدفا محددا مدروسا . وهذا بعكس سلوك الراشد ، فكل ما يفكر فيه الطفل هو اللهو واللعب بغير هدف .

والخاصية الثانية : هى ان الطفل قوة تنمو . او كما يقول « جان شاتو » استاذ علم النفس والتربية فى كلية الاداب بجامعة بوردو : « انه حركة تمضى الى الامام » وبعبارة اخرى هو « اندفاع » ويأخذ هذا الاندفاع صورا اخرى غير منظمة ، اذ نجد الطفل الصغير يقوم باعمال كلها حركة دون مبالاة ودون ادراك للعواقب .

وسلوك الطفل يتأثر بعاملى النمو والتعلم (١) .. والدراسات الشاملة المتعلقة بالاف الاطفال تبين ان النمو البشرى يميل الى اتباع جدول محدد .. لا من حيث النمو الحسى الحركى فحسب ، بل من حيث النمو العقلى والوجدانى والاجتماعى ايضا . معنى هذا ان تغييرات النمو تتدرج بنظام معين يلعب فى تحديده كل من النضج والتعلم ادوارا حاسمة .

والارتباط بين عاملى النمو والتعلم فى تطور السلوك وثيق لدرجة يتعذر معها فصل احدهما عن الاخر (٢) ومع ذلك يمكننا فى حالة كثير من الوان السلوك ان نضع بينهما فاصلا عمليا غير دقيق ، وهذا الفاصل بالغ الاهمية بالنسبة لكثير من العادات والمهارات التى يكون على الطفل ان يكتسبها اثناء تعليمه ، وتربية الطفل تبدأ منذ ولادته ، ويتكون منهجها الاول من اتصالاته بالراشدين وطرق معاملتهم له والعناية به ، وكذلك ما يؤثر فيه من مناظر واصوات وغيرها من المثيرات الحسية . والكثير من الخبرات التى تلعب دورا فى تشكيل عادة الطفل وصوغ خلقه ، تظهر اثناء حياته الاولى بشكل عرضى وبدون خطة موضوعة ، ولكن الكبار منذ البداية يتعاملون معه بطرق شتى تؤثر فى خبراته اليومية ، ومن ثم تصبح عنصرا فى تربيته .

وبنضج قدرات الطفل تتسع دائرة الافعال والخبرات التى يتربى عن طريقها ، ويتعذر علينا فى هذه المرحلة ان نميز تمييزا واضحا بين ما يمكن ان يسمى سلوكا عقليا وسلوكا حركيا ، كما ان السلوك الاجتماعى المبكر للطفل وثيق الارتباط بنموه العقلى .

---

(١) د. سمية فهمى ــ تطبيق علم النفس فى برامج الراديو والتليفزيون الموجه للاطفال ــ دراسات وبحوث اذاعية العدد ــ ٧ ــ ص ٤٥ .

(٢) علم النفس التربوى ــ ارثر جيتس ترجمة ابراهيم حافظ ــ مكتبة النهضة المصرية .

اما الاتجاهات النفسية .. فمن اهم خصائصها انها مكتسبة ومتعلمة وذاتية (١) ، وانها تتكون وترتبط بمفاهيم اجتماعية وانها تنعكس في السلوك والاقوال والافعال والتفاعل الاجتماعي وانها تسمح بالتنبؤ باستجابة الفرد والجماعة بالنسبة لهذه المفاهيم وانها رغم ان لها صفة الثبات النسبي والاستمرار النسبي الا انه من الممكن تعديلها وتغيرها تحت ظروف معينة .

ومن اهم الملاحظات الخاصة بتكوين الاتجاهات النفسية الاجتماعية انها من واقع الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والايديولوجية ، وتتمشى مع مرحلة التطور التى يجتازها المجتمع وانها تعتبر احد نواتج عملية التنشئة الاجتماعية . وتؤثر الاسرة (خاصة الوالدان) وكذلك تؤثر المدرسة (خاصة المعلمون) فى تكوين الاتجاهات ،كما ان التجارب الشخصية فى المواقف الاجتماعية تلعب هى الاخرى دورا هاما فى تكوين الاتجاهات ، كذلك تلعب عملية التوحد مع الشخصيات والنماذج الاجتماعية دورا هاما فى اكتساب وتبنى بعض الاتجاهات النفسية .

الانفعال عند الطفل :

يأتى الطفل فى سنى عمره الاولى بالكثير من انواع السلوك ذات الصبغة الانفعالية كأن يبكى ويرفس برجليه وذراعيه . ولكن الاستجابات الانفعالية (٢) فى هذه المرحلة كسواها من مظاهر السلوك عند الولادة . يعوزها التمايز ، اذ ان الطفل لا يستجيب لكثير من المنبهات التى سوف تثيره فيما بعد .

وتعتبر استجابات الفرد الانفعالية من النواحى الاساسية فى تكوين شخصية (٣) . فانفعالات الفرد لها اتصال وثيق بسلوكه .. ويتضمن هذا السلوك ميوله وعاداته وصحته العقلية وقدرته على ملائمة نفسه مع المجتمع الذى يعيش فيه .

ولكن .. ما هو الانفعال .. وما هى طبيعته ؟ ....

الإنفعال هو حالة تغيير مفاجىء تشمل الفرد كله .. دون أن يختص بها جزء معين من جسمه .. فهو ظاهرة نفسية .. وبمعنى اخر هو حالة شعورية يحس بها الفرد كما انه يستطيع وصفها ، فهناك انفعالات الغضب والخوف والفرح والحزن والغيرة والقلق والارتياح الى غير ذلك . ولكل انفعال منها مظهر خارجى واضح يمكن ملاحظته بسهولة ، وفى بعض الحالات يكون للانفعال مظهر داخلى عضوى يعمل على تنشيط الكيان العضوى للكائن الحى ويجعله فى حالة تهيؤ .

---

١) علم النفس الاجتماعى ـ حامد عبد السلام زهران ـ عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٧٢

٢) علم النفس التربوى ـ ارثر جيتس ـ ترجمة ابراهيم حافظ

٣) ـ سيكلوجية الطفولة والمراهقة ـ د. مصطفى فهمى ـ مكتبة مصر

ولقد كان للابحاث المختلفة التى قام بها دارون وكانون اهمية كبـرى فى الابانة عن العلاقة بين الانفعال والنواحى الفسيولوجية ، ومن بين تلك الابحاث ما لاحظه « كانون » من تغيرات تعترى الغاضب والخائف .. كسرعة ضربات القلب واضطراب النفس وازدياد افراز بعض الغدد وخاصة الغـدد النخامية ، فهذه التغيرات الداخلية تعمل على تنشيط الكيان العضـوى للكائن الحى وتجعله فى حالة تهيؤ يؤدى به الى الهرب فى حالة الخوف والى الاعتداء فى حالة الغضب .

وتتوقف استجابة الفرد الانفعالية لحدث ما على كل من طبيعة الحدث وحالة الفرد الداخلية .. ولكى نفهم سلوك الطفل الانفعالى يجب ان ننظـر بعين الاعتبار الى ان ما ينتابه من مشاعر استجابة لما يسمع ويرى ، يتأثر ايضا بحالته الداخلية .

والطفل يتعلم عن والديه فى طفولته المبكرة كيف يستثار انفعاليـا بالنسبة الى مواقف معينة ، فالاب الذى يخاف من الاماكن المظلمة ، والام التى تخاف من الاشباح والعماريت من السهل ان يغرسا فى نفوس اطفالهما الاستعداد للخوف من هذه الاشياء .

والطفل يعتقد فى اى شىء يقال له ، فقد حدث ان طفلة فى الرابعة من عمرها كانت لا تبدى اى استجابة تدل على الخوف من الظلام .. وفى ذات مساء طلب منها والدها ان تنزل الى الطابق الاسـفل لتحضر بعض الادوات الخاصة بتناول الطعام فى الوقت الذى كان فيه معظم افراد الاسرة فى الطابق العلوى ، الا ان الطفلة رفضت تنفيذ امر والدها ، فلما سألها عن السبب ، اجهشت بالبكاء ثم قالت :

انى اخاف من الظلام هناك ، اذ ربما طلعت على بعض الاسود والنمرة

وعند سؤال الطفلة عن السبب الذى دفعها الى هذا الاعتقاد اجابت بقولها ان المدرس اخبرها ان الحيوانات المفترسة خرجت من الغابات الموحشة المظلمة وقتلت الاطفال الذين كانوا يسخرون من القديسين والانبياء .

ويقص اندريه ارتوس فى كتابه « دنيا الطفل المجهولة (١) » قصة الطفل دانييل الذى كان يبلغ الخامسة من عمره ، دانييل هذا كان يذهب بانتظـام الى ملاعب الاطفال وفجاة تغير سلوكه وانعزل عن رفاقه وانطوى على نفسـه غارقا فى احلامه وخيالاته وفشلت كل الجهود لاعادته الى عالم الواقع . ولما عرض الامر على مؤلف الكتاب كما يقول .. اشار على والديه بان يطيلا الفترة التى يخصصانها للاتصال به حتى يشجعاه على الحديث فقد كان واضـحا ان ثمة مأساة تدور فى اعماقه ، وبعد يومين من بداية التجربة .. اخـذ دانييل يتحدث فجاة الى والديه بحرارة وانفعال واخذ يقص عليهما قصـة

---

(١) طفلك ذلك المجهول ـ تاليف انـدريه ارتوس ـ ترجمة عبد المنعم الزيـادى ـ مـكتبة نهضة مصر .

ولد جوبمر بواسطة عصابة حبسته في قفص وارادت شنقه وتعليقه فى اعلى شجرة وقبل تنفيذ الحكم بساعات تمكن من الهرب ، واخذ يسير على غير هدى وسط الغابة حيث حاصره جيش من الثعابين التف حول ساقيه واعاقه عن الهرب ـ ولما سألاه والداه عن مصدر هذه القصة اخبرهما بان مربية احد رفاقه هى التى قصت عليه هذه القصة .

وسأله والده ان كانت هذه القصة قد حدثت له فاجهش الطفل بالبكاء ولم يجب . وعندما سأل والده الخادمة ان كان قد حدث شيء لابنه اخبرته بالتفاصيل التى تكمل حلقات القصة . فقبل ان يتغير سلوكه وتسوء حالته بيومين او ثلاثة .. ذهب مع الخادمة الى الجزار حيث ضايقه فتوعده الجزار بالعقاب ، ولكن الطفل استمر فى مضايقته فحبسه الجزار فى الثلاجة بضع دقائق ، حيث وجد الطفل نفسه محاطا بارجل الغنم وبقطع كثيرة من العظام وبكل ما يثير هلعه . وارتبطت هذه الصدمة الانفعالية بالحكاية التى سبق أن سمعها والتى كان خياله يضمها . واختلطت الحادثتان معا .. وارتبطت احداهما بالاخرى ولذا فقد كل اهتمام فى حياته وانعزل عن العالم الخارجي ..

وفى حياتنا .. نرى بعض الاطفال عندما تقدم لهم احدى اللعب والتى تمثل حيوانا ما كالحصان او الدب او القرد .. الى غير ذلك .. يلجأون الى اتلاف عيون هذه اللعب والى تحطيمها وهذا يرجع الى خوف الطفل من عيونها ان نظر اليهما . وتبرز الحكايات الخرافية والاساطير كعامل هام من العوامل التى تثير خوف الاطفال من الظلام ومما يختبيء فى جوف الظلام من عفاريت واشباح وغيلان .. فبعض الاطفال عندما يسيرون فى الظلام يهيأ لهم كأن عملاقا ضخما او وحشا مفترسا او عفريتا من الجن يختبيء داخل هذا الظلام وهذا يؤدى الى ارتعادهم خوفا من الظلام . وقد يلجأ بعض الاطفال الى الغناء بصوت مرتفع عندما يسيرون فى مكان مظلم وذلك ليرفعوا من روحهم المعنوية وليتغلبوا على شعورهم بالخوف بشغل انفسهم بالغناء .. كما ان الغناء يشعرهم بانهم لا يسيرون بمفردهم وان هناك من يرافقهم السير وبهذا تقل رهبتهم ويقاومون الخوف الذى اجتاح نفوسهم .

وهكذا .. نجد ان المخاوف النابعة عن الظلام . وعن هذه المخلوقات الغريبة التى تتواجد داخله .. لم تأت من تلقاء نفسها ، ولكنها تجيء نتيجة للعديد من الحكايات الخرافية والاساطير التى يسمعها الأطفال ممن يكبرونهم سنا . والتى تعتمد بشكل كبير على المخلوقات الغريبة المفزعة ، بالاضافة الى انها تقص عليهم غالبا فى الليل وهم مقبلون على النوم .

والحكاية الخرافية وكذلك الاسطورة .. هما لونان من الوان الفنون الشعبية او الادب الشعبى .. الذى يلعب دورا هاما فى التكوين النفسى للطفل فما هو الادب الشعبى .. وما هى الوانه واشكاله المختلفة ؟؟؟؟

لاشك ان التعرف على هذا الشكل من الادب .. يحتاج الى شيء من التفصيل .. وهذا ما سأحاوله فى الصفحات التالية :

الباب الثانى

الادب الشـــعبى

الادب الشعبى كما يعرفه د. عبد الحميد يونس (١) هو القول الذى يعبر به الشعب عن مشاعره واحاسيسه افرادا وجماعات ، فهو من الشعب والى الشعب يتطور بتطوره وهو غذاؤه الوجدانى الذى يلائمه كل الملاءمة وليس ينفعه غيره ، وهو يمتاز عن سواه بسمات نجدها فى سائر انواعه واقسـامه التى تتناقلها الاجيال وتعتز بها الشعوب .

ويقوم الادب الشعبى بشرطين اساسيين (٢)

اولهما : ان يكون الاصل فيه رواية شفوية .

وثانيهما : ان يعبر عن شخصية الجماعة لا الفرد وهذان الشرطان يجعلان من الصعب ان تنسبب اثار الادب الشعبى الى قائل بعينه ، ولو وجد لكان ذلك على سبيل الشهرة او الانتحال كالخلاف الذى لازال يشـتجر حـول « هوميروس » وحول مؤلف « اغنية رولان » .

والادب الشعبى .. يرتبط بحياة الناس ويصدر عن وجدان جماعى ، وفى اطار قومى تبدو فيه خصائص الجماعة ويغلب عليه الطابع الانسانى .

ويبدأ احياء الادب الشعبى او التراث الشعبى علمة بعد الاستقلال او قيام الثورات وفى احيائه تعبير عن روح الشعب وتأكيد لشخصيته الاصـيلة

ومفهوم التراث الشعبى .. ليس مقصورا على الريف والقرى .. وصادرا عن الفلاحين وحدهم .. ولكنه يرتبط بحياة الناس فى اى اطار ثقافى يصوغ سلوكهم وعلاقاتهم .

والادب الذاتى يختلف ولا شك فى شكله وتعبيره عن الادب الشـعبى (٣) فالانسان الفرد الذى يحرص على أن يدون اسمه فى تاريخ الادب يتحتم ان يكون ادبه مجليا لذاتيته ولروح عصره . فاذا فشل فى تحقيق ذلك فأن ادب هذا الفرد لا يعيش مع الاجيال .. واذا قدر له ان يعيش .. فالفترة قصيرة اما الادب الشعبى .. فهو ينبع من الوعى واللاشعور الجمعى وعلـى

---

١) الهلالية فى التاريخ والادب الشعبى -د. عبد الحميد يونس ص ١١

٢) د. عبد الحميد يونس ـ الادب الشعبى ـ دراسة نشرتها مجلة الفنون الشعبية ـ العدد الثانى ص ٢٠

٣) اشكال التعبير فى الادب الشعبى ـ د. نبيلة ابراهيم ـ دار نهضة مصر ص ٢

حد تعبير يعقوب جيرم احد رواد الادب الشعبي . الفن الشعبي ينبع من الروح الشاعرة الجماعية في حين ان الادب الفني ينبع من روح الفرد الشاعرة ولهذا فان الادب يعرف مؤلفه اما الادب الشعبي فلا يعرف له مؤلف لانه حصيلة الجماعة .

وكل نوع من انواع الانتاج الادبي الشعبي مثل الحكاية الخرافية والاسطورة الكونية واساطير الاخيار والاشرار الى غير ذلك.انما يهدف الى تفسير جانب من جوانب الحياة ، ولهذا فانها تعد جميعا من صنع العقلية المفسرة القادرة على استغلال اللغة فى كلتا وظيفتيها وهى الخلق والتفسير .

ويتمثل الادب الشعبي بشكل عام فى الاسطورة والحكاية الخرافية والحكاية الشعبية واللغز والمثل الشعبي والنكتة وكلها انواع ادبية شعبية ولكنها ولا شك اشكال يختلف بعضها عن البعض الاخر اختلافا جوهريا وان كانت صفة الشعبية تجمع بينهما

وهذه الالوان جميعا ... وان كنا نسميها ادبا شعبيا ، فهى لا تبعد عن كونها فنا شعبيا .. او الوانا من الفن الشعبي . والفنون الشعبية لا تتوقف عند ما ذكرت من الوان الادب الشعبي .. ولكنها تتعدى ذلك الى ابرز الوان الفن الشعبي .. وهو فن الغناء والاغنية الشعبية لها مذاق خاص تنفرد به عن الاغنية العادية .. حيث تتميز بكلماتها وطريقة ادائها وبالالات الموسيقية التى تصاحبها .

اما التراث الشعبي .. فيعتمد ايضا على المعتقدات والتقاليد التى تتوارثها الاجيال عن بعضها .. ومثال ذلك : الاحتفال باستقبال المولود الجديد والاحتفال بيوم السبوع وما يصاحبه من افعال واعمال يظن انها تحمى هذا المولود وتمنحه طول العمر وتقيه من عين الحسود ــ وهناك عادات لاتزال موجودة حتى الان تتصل باخفاء الذكر خوفا عليه من العين والحسد ، بالباسه ملابس الفتيات ، وعندما تمر عليه فترة من الزمن تثقب اذنه كأنه فتاة ، وهناك التمائم الخفية والاحجبه وتغيير الاسماء فى الظاهر حماية للطفل .

ومن مظاهر الخوف من الحسد تعليق حدوة حصان على الباب الخارجي للمنزل او رسم تمساح على اعلا الباب .. كما ان البعض يلجأ الى عمل عروس من الورق ثم تخرم هذه العروس بالإبرة مع القول : هذه من عين فلان وهذه من عين علان .. ثم تحرق هذه العروس عن اخرها .

ومن المظاهر التى تنتشر بشكل كبير فى الريف كما توجد فى المدن . مسألة تعليق كف صغير على جبهة الطفل المولود وكذلك وضع الكحل فى عين الطفل بطريقة غير منتظمة .

ومن ابرز صور التراث الشعبي .. التفكير الخرافى والذى يتمثل فى الزار والعلاج بطريقة الشعوذة وسوف اتناول هذه المسألة بشىء من التفصيل فى احد فصول هذا الباب .

الفصـــل الاول

الاســـــطورة

الاسطورة محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة .. او هي تفسير له (١) انها نتاج وليد الخيال ، ولكنها لا تخلو من منطق معين ومن فلسفة اوليـة تطور عنها العلم والفلسفة فيما بعد ــ وبمعنى اخر هي عملية اخراج لدوافع داخلية فى شكل موضوعى والغرض من ذلك حماية الانسان من دوافع الخوف والقلق الداخلى .

فالانسان مثلا ــ يخشى الظلام ويحب ضوء الشمس الساطع ، ولذلك فهو يقدس الشمس ويعدها الهه .. فى حين انه يعد الظلام كائنا شريرا ولهذا يتحتم على الشمس أن تتصارع مع الكائن الشرير حتى تقضى عليه حمـــاية للانسان ومن هنا كانت رحلة الشمس الدائبة ، فهى تطلع حينما تنتصر على الكائن الشرير وهى تغيب حينما يظهر مرة اخرى لكى يصارعها وتشبه عملية الاخراج هذه ، العملية التى تتم فى الحلم فيما يرى علماء النفس ، فالحلم يخرج ما فى النفس من دوافع الخوف والرغبة فى شكل صور ورموز ، فاذا بالمشكلات الداخلية المعقدة تتحول من تلقاء نفسها الى موضوع حكاية .

وتروى الاسطورة تاريخا مقدسا وتسرد حدثا وقع فى عصور « ممعنة » فى القدم ، عصور خرافية تستوعب بداية الخليقة ، او بعبـــارة اخـرى تحكى بوساطة اعمال كائنات خارقة كيف برزت الى الوجود حقيقة واقعة والاسطورة بهذا المعنى قصة وجود ما ، واذا أردنا ان نحدد مجال الاسطورة فاننا نشير الى انها حكاية اله او شبه اله او كائن خارق تعبر بمنطق الانسان البدائى ظواهر الحياة والطبيعة والكون والنظام الاجتماعى واوليات المعرفة .

ويقول د. عبد الحميد يونس (٢) الاسطورة تطلق على الشعائر عند قيامها بوظيفتها العقيدية فى تفسير ظواهر الكون والطبيعة بمنطق العقل البـدائى وتحليل العادات والتقاليد بمنطق هذا العقل ايضا ، فاذا تجـاوزت هذه الوظيفة وعدلتها الى وظيفة اخرى او انفرطت عقدتها وتداخلت عناصرها فيما يصدر عن الفاذين من ضروب النشاط والسلوك ، لم تعد مادة اسطورية بالمعنى الصحيح وانما اصبحت مادة فولكلورية وأصبحت من عناصر الادب الشعبى .

وقد رافقت الاسطورة الانسان منذ نشأته وماتزال ترافقه (٣) وفى كل اسطورة تتمثل عقائد اصحابها ومثلهم وعاداتهم وتتضح نظرتهم وفلسفتهم فى

---

(١) اشكال التعبير فى الادب الشعبى .. د. نبيلة ابراهيم ــ دار نهضة مصر ص

(٢) د. عبد الحميد يونس ــ مقالة فى الادب الشعبى ــ مجلة الفنون الشعبية عدد ٢ ص ٢١

(٣) اساطير من الشرق [illegible] شعلان [illegible] مطابع الشعب ص ٣ [illegible]

الحياة .. وهى تعطى فكرة كاملة عن الروح المتأصل فى هذه البلاد والتى اتحدت فى صراعها العنيف من اجل الغريزة للعيش والسلام .

وما من امة ارتفع شأنها او هان الا ولها اساطيرها .. وهى فى كل الوانها سواء كانت الهية او بطولية او غرامية او خلقية او فكاهية .. انما تمثل جزءا ضخما من التراث القومى الذى يتلقاه الناس جيلا بعد جيل ويمتزج بنفوسهم حتى يصبح جانبا حيويا فى تكوينهم ولا شك ان كل هذه الاساطير قائمة على اساس من الحقيقة غير ان الخيال الانسانى مع مر الايام البس الحقيقة من الاوهام اردية جعلتها بعيدة عن المعقول وان تكن قريبة محببة الى النفوس . والاسطورة قد تتطور تحت تاثير صنعة القاص (١) وما يلبث ان ينسى اصلها الدينى وتتخذ شكل حكاية خرافية او شعبية .. ويمكن ان نستدل بذلك على حكاية « سندريلا » الشهيرة .. فقد اهتدى الباحثون عند مقارنة نصوص هذه الحكاية فى البلدان المختلفة الى المغزى الاصلى لهذه الحكاية .. اى الى مغزاها الدينى ..

سندريلا فى الاصل هى ملكة الربيع او الهة الربيع التى اهملت نتيجة قسوة الشتاء فعاشت فترة فى وحدتها تعانى مرارة الاهمال حتى جاءها احدى الهات الطبيعة ، ويرمز لها فى الحكاية بالجنية .. فأمدتها بكل ما يعيد اليها مظهرها الجميل حتى تحضر حفلة الامير ، اى حفل احياء الربيع وليس الامير سوى الملك المقدس او الإله فى الاسطورة القديمة ـ لما الفترات القصيرة التى كانت تظهر فيها سندريلا فى مظهرها البهيج فى حفل الامير ثم ما تلبث ان تختفى فانما تشير الى ذكرى فصل الربيع التى تعيش فى النفوس فتشيع فيها البهجة لحظات قصيرة وما تلبث ان تتحقق هذه الذكرى البعيدة بحلول الربيع مرة اخرى اى حينما يجد الملك المقدس فى البحث عن سندريلا ويتم زواجه بها .

فالحكاية بهذا المغزى ترتبط فى اصلها بظواهر الطبيعة التى استرعت نظر الانسان .

---

(١) اشكال التعبير فى الادب الشعبى ـ د. نبيلة ابراهيم دار نهضة مصر ص ١٢

الفصل الثاني

الحكاية الخرافية

ارجع الباحث الالماني المعاصر « فريدريش فون ديرلاين » في كتابه « الحكاية الخرافية » ارجع الحكاية الخرافية الشعبية الى اصولها (١) اي الى ديانات الشعوب القديمة .. كما ردها الى تصوراتهم وعاداتهم .

وقد انتهى الكاتب الى ان الحكاية الخرافيه البدائية تكونت في الاصل من اخبار منفردة نبعت من حياة الشعوب البدائيه ومن تصوراتهم ومعتقداتهم ثم تطورت هذه الاخبار واتخذت شكلا فنيا على يد القاص الشعبي

وفيما يختص بالبحث الجاد في الحكايات الخرافية (٢) .. يمكننا ان نرجع الى الوراء مايقرب من قرن ونصف قرن حينما اهتم « الاخوان جرم » في تعليقهما على مجموعتهما « حكايات الاطفال والبيوت » وبالبحث عن اصل الحكايه الخرافية نفسها ومجموعتها فهي معروفة لدينا قبل هذا التاريخ بزمن طويل . وعلى الرغم من ان الحكايات الخرافية كوفحت بما فيه الكفايه بوصفها حكايات العجائز ، فانها مع ذلك ظلت محتفظة بحيويتها وجدتها عبر الاف السنين ..

فالحكاية الخرافية .. عاشت فتره ازدهار في القرن السادس قبل ميلاد المسيح في كل بلاد الاغريق والهند اما عصر الازدهار الثاني ، فهو الذي عاشته الحكاية الخرافيه في عصر الحروب الصليبية حين ظهرت مجموعات كبيرة للحكايات الخرافية في الشرق ومنذ بداية القرن الثالث عشر اخذت تظهر في ايطاليا مجموعات عدة من القصص والحكايات الخرافيه كما احتوت مجموعه « دي كاميرون » لبوكاشيو على مادة وفيره من الحكايات الخرافيه وقد تأثر الاخوان جرم بعد ذلك بهذه الحكايات وخاصة مجموعه « ثلاث عشرة ليله ممتعه » « ل استرابا رولا » كذلك تأثرا بمجموعة « بنتا ميرونى » التى احتوت على خمسين حكاية خرافية لشاعرنا نابولى « بازيل » .

وبعد ذلك بسنوات قليلة .. قبل ان تظهر مجموعات « الاخوين جرم » ظهرت في فرنسا احدى مجموعات الحكايات الخرافيه الشهيره واسمها « حكايات امي اوي » لـ « شارل بيرو » وقد استمد بيرو حكاياته من الشعب ولكنه اضفي عليها طابعا فنيا عبا بالرشاقة ورهافه الحس ..

وفي القرن الثامن عشر سار البحث في الحكايه الخرافية في طريقين : الطريق الاول اختاره « موزويس » الاستاذ بجامعه « فيمر » فقد جمع الحكايات الخرافيه من الشعب وحكاها ثانيه بطريقة ساحرة ، ثم جعل مافيها

---

(١) . اشكال التعبير في الادب الشعبي ـ د. نبيلة ابراهيم ـ دار نهضة مصر ص ٥٦ ـ

(٢) الحكاية الخرافية ـ تاليف فردريش فون دير لاين ـ ترجمة د. نبيلة ابراهيم ـ دار القلم (بيروت) ص ١٩ .

من عناصر خيالية وامور خارقة للطبيعة تظهر بوصفها مجرد شيء عرضي ، كما حاول بعد ذلك ان يضمنها مغزى بان اضاف اليها مثلا اخلاقية يقتدى بها .

وعلى العكس من ذلك حاول « فيلاند » ان يشق طريقا اخر ، فقد اخضع مادة الحكاية الخرافية للصياغة الشعرية والبسها رشاقة وسهولة وسحرا . وعندما رسم « جوته » الحكاية الخرافية كان يتبع في أغلب الاحيان منهج « فيلاند » من قبل . فقد حكى حكاية « اماديس » الجديدة شعرا ، كما اخترع غير ذلك من الحكايات واطلق عليها اسم « الحكايات الخرافية » ولم يكتب جوته هذه الحكايات من اجل الحكاية الخرافية ذاتها .. وانما لمغزى عميق تخفيه بين سطورها .

والحكاية الخرافية عند جوته هي بعينها الحكمة .. وقد نمى « نوفالين » فكرة « جوت » عن الحكاية الخرافية اذ كان يرى ان الحكاية الخرافية تعد اسمى صورة للادب بوجه عام .

والحكايات الخرافية تتفق جميعها في كونها معتقدات تصل في تاريخها الى اقدم العصور وتتاح لها الفرصة للظهور من خلال تلك التاليفات التي تصور مدركات غير حسية ..

والخيال في الحكاية الخرافية يحاول ان يرتفع على الالام «١» .. وان ينسج للانسان عالما تسوده البهجة والسعادة .. ومع ذلك فان هذا العالم الخيالي البراق لا ينفصل عن الواقع المرير بل يلامسه من وقت لآخر .

واول شيء يسترعي انتباهنا في الحكاية الخرافية هو اتجاهها الاخلاقي (٢) فهي تكافيء الخير بخير والشرير بشر . على ان هناك شخوصا في الحكاية الخرافية لا تجعلنا نشعر بانها تسعى الى الخير او بان هناك ظلما قد وقع عليها ، فالاميرة التي نامت مائة عام ، ومثلها الامير الذي جاء ليوقظها ويتزوج بها لم يقدما اعمالا خيرة يكافآن عليها ، كما انهما لم يظلما في الحياة حتى يرفع مبدأ العدالة عنهما الظلم وهذا يفسره ميل الانسان الى كل ما هو عجيب وسحري كما يفسره ان الحكاية الخرافية لا تصور علاقة الانسان بعالمنا الخارجي فحسب ، وانما تصور كذلك صراعه مع عالمه الداخلي وعلى ذلك يمكننا ان نقول بادئ الامر ان الحكاية الخرافية تصور الامور كما يجب ان تكون عليه في حياتنا .

والحكاية الخرافية تتعرض للحديث عن الجن والغيلان والنساء الساحرات ، والمردة الى جانب الحيوانات والطيور الغريبة ، وابطال الحكايات الخرافية يختلطون بهذه الاشكال كما لو كانت مثيلتهم ، فهم يقومون بواجبهم

---

١) القصص الشعبي في السودان – د. عز الدين اسماعيل – الهيئة المصرية العامة ص ٢٢

٢) اشكال التعبير في الادب الشعبي – د. نبيلة ابراهيم ص ٦٠

في هدوء وثقة . كما انهم يتقبلون المساعدة منها او يحاربونها ثم يستأنفون سيرهم ..

وكانت خرافات الغيلان منتشرة بكثرة شديدة في الجزيرة العربية (٢) ونسب لكائن خرافي سمي « تأبط شرا » انه قتل غولة بضربة واحدة من سيفه فقتلها وان الغولة عندما ضربها اول ضربة طلبت منه ان يضربها ثانيا ، لكنه رفض وهي تلك التصميمة الاسطورية المعروفة في خرافات الجان ، وتعني ان الضربة الثانية تعيد الحياة .

وقد ترجع اغلب معتقداتنا وتصوراتنا التي ماتزال تتوافر في مجتمعاتنا المعاصرة عن الجن ومواطنهم ومصاهرتهم للانس وقبائلهم وكذلك الغيلان والسعالي والعفاريت والرياح والنداهات وسكان ما تحت الارض الى غير ذلك . ترجع بكاملها الى المتعربة البائدين ، وتشكل احص سكان الجنوب القحطانيين .

وقد نسب العرب لسابقيهم من القبائل العربية البائدة انحدارهم من امهات جنيات مثل قبائل جرهم التي قيل انها جاءت الى الوجود من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم وكذلك قبائل جديس وثمود والعماليق في الشام وفلسطين ..

والخرافة اصلها شائعة (٢) ترددت وزيد فيها حتى اصبحت جزءا من التراث الشعبي المنقول . فللعرب عامة ولمصر القديمة الكثير من الحكايات الخرافية التي تدور حول الساحر والمارد وغيرها وتعد الف ليلة وليلة احمل الكتب العربية في هذا المجال .

وقد قدم العرب حكايات جميلة من ابتكارهم الخاص واشبعوها بروحهم وفنهم الخلاق . وعندما يستمع الطفل لحكاية خرافية يجد فيها تلبية لخياله المتدفق من ناحية وتلبية لاحتياجاته النفسية من ناحية اخرى (٣) ، فالطفل يستمتع بها باحساساته اللاشعورية وكثيرا ما تحكي حكاياتنا الخرافية عن امنا الغولة او عن الغول بصفة عامة ولكن امنا الغولة يغلب ذكرها في الحكايات الخرافية كما أن هذه الحكايات كثيرا ما تحكي عن النبع او البئر اللذين يلعبان دورا مهما في حياة البطل كما يحكي عن الحيوان المهول او عن الشجرة الطيبة التي تمد البطل بالنصيحة والخير .

---

(١) اساطير وفولكلور العالم العربي ـ شوقي عبد الحكيم ـ مطابع روز يوسف ص ١٩٨ وما بعدها

(٢) عبد التواب يوسف ـ الحقيقة والخيال عند الاطفال ـ العدد ـ ٧ ـ من دراسات وبحوث الاذاعية ص ٧١

(٣) الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ـ د. نبيلة ابراهيم مكتبة القاهرة الحديثة ص ٢٢٥

والحكاية الخرافية تكون غالبا مفتاحا لفهم الواقع (١) ، فالطفل يحكم من خلال الحكاية على عالمه وحركته الإجتماعية ، والخير والشر غالبا ما يرى فى الحكاية الخرافية ، الخير يحمى الحياة والشر يقتلها والخير يتجاوب مع رغبات الصغار يعمل من اجلهم وينتصر على الشر ، وبعض الاطفال يأخذون الحكايات الخرافية على انها حقيقة فانهم يعايشون بطلهم وينصحونه ويحثونه ويحذرونه ويضعون انفسهم بالخيال فى مكان البطل يقاسمونه الالام والمخاطر ثم ينتصرون ويثابون معه ، وكثيرا ما يعبرون عن ذلك باصوات عالية خلال القصة لانهم لا يستطيعون التفرقة بين احداثها وبين الحياة ذاتها والاطفال فى واقع الامر لا يؤمنون بوجود السحرة والاشباح ولا يصدقون الكثير من الاحداث الخارقة البعيدة عن الواقع مثل البساط السحرى وغيره ومع هذا فهم يتوهمون انها حقيقة .

والحكاية الخرافية فى راى الكاتب « اندريه بولس » (٢) ، تحقق للانسان الشعبى حياة العدالة والحب التى يحلم بها ويضيف الكاتب ماكس لوثى الى ذلك ان الحكاية الخرافية رغم تحررها من الاحساسات الكهنوتية ورغم تحررها من الحوادث والتجارب الفردية فانها تقدم بوسائلها الخاصة جوابا شافيا عن السؤال الذى يدور بخلد الشعب عن مصيره ، وكأنما تود ان تقول له : هكذا ينبغى ان تعيش خفيفا متفاعلا ومتحركا مغامرا مؤمنا بالقوى السحرية فى عالم الغموض الذى تعيشه ذلك لان الحكاية الخرافية تحول كل ما هو ثقيل فى عالم الواقع وكل ما هو غير مرئى الى اشكال خفيفة مرئية .. فهى تستجيب لاحتياجات نفسية واهتمام روحى محدد . والطفل البطل فى الحكاية الخرافية يظهر له فى ساعة يأسه رجل او امراة عجوز تقدم له النصح وتسدى له المعرفة وقد يظهر له حيوان خير يتحدث اليه ويقدم له المساعدة اللازمة له فى مغامراته الجديدة وبطولة الطفل ظاهرة تشيع فى الحكاية الخرافية والبطل لا يقابل فى طريقه قوى الخير وحدها .. فكثيرا ما تتهدده القوى المجهولة التى تظهر فى اشكال عدة .

ومن الصور المألوفة فى الحكاية الخرافية ــ تحول الشر الى خير عن طريق الحب الصادق والكلمة الطيبة ، والشىء المحرم الذى لا يصح الاقتراب منه ومقاومة الرغبة القوية لمعرفة المجهول ..

---

(١) عبد التواب يوسف الحقيقة والخيال عند الاطفال العدد ــ ٧ ــ من دراسات وبحوث الدامية .

(٢) اشكال التعبير من الادب الشعبى ــ د. نبيلة ابراهيم ــ دار نهضة مصر ص ٦٥.

الفصـــل الثـــالث

الحكـــاية الشــــعبية

الحكاية الشعبيه كما تعرفها المعاجم الالمانية (١) هى الخبر الذى يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لآخر ، وهى خلق حر للخيال الشعبي ينسجه حول حوادث مهمة وشخوص ومواقع تاريخيه . ومن الامثلة على ذلك « على بن ابى طالب والغول فى غزوة اليمن الكبرى » (٢) فاليمن له وجود جغرافي معلوم وعلى بن ابى طالب له وجود ثابت ولكن الغول ورؤوسه السبعة وما اضيف الى ذلك من حوادث كثيره غير عادية يجعل هذه الحكايه تدخل فى نطاق الابداعات الشعبيه الخيالية التى يعول الشعب فى نسجها على الخوارق الخارقة .

اما المعاجم الانجليزية فتصف الحكايه الشعبية بأنها حكايه يصدقها الشعب بوصفها حقيقة وهى تتطور مع العصور وتتداول شفاها كما انها قد تختص بالحوادث التاريخية أو بالابطال الذين يصنعون التاريخ .. وعلى هـذا فان التعريفين يشتركان فى ان الحكاية الشعبية قصة ينسجها الخيال الشعبى حول حدث مهم .. وهذه القصه يستمتع الشعب بروايتها والاستماع اليهـا الى درجة انه يستقبلها جيلا بعد جيل عن طريق الرواية الشفوية .. والسمة الاولى للحكايه الشعبيه هى ارتكازها على الواقع الذى يعيشه الشعب ، وهى حريصة على ان تشعر القارىء او السامع بجوها الواقعى .

والحكاية الشعبيه تعكس نفسيه الشعب فى نظرته الى حوادث التاريخ وعدم رضاه عن الاخطاء التى ارتكبها العظماء او عن الهزائم التى منوا بها فى حروبهم مع الاعداء .

وتعد الملحمه والسيره حكايه شعبية ذات شكل معين .. فالملحمـة قصيدة طويلة تصور البطوله من خلال تصويرها لحوادث تتسم بطابع الاهمية والعظمـة .. واذا ذكرنا الملحمـه فاننا نعنى ملحمتى هوميروس الالياذه والاوديسه . وتصف الدكتور مرسى سعد الدين الملحمة بأنها اشبه بالتاريخ الجماعى او القومى وتحكى طورا تاليا للطور الاسطورى .

اما الاسطورة الشعبيه .. فتعبر كلها عن موقف بطل ينتمى الى قبيله بعينها وهو يتزعم هذه القبيلة اولا وشعبه العربى باسره ثانيا .. وهدفه من هذه الزعامة تعبير القيم الاخلاقيه والنظم الاجتماعية والسياسيه فى مجتمعه .. وعن طريق السير يعبر الشعب عن آماله وآماله كما يسجل حكمه

---

(١) اشكال التعبير فى الادب الشعبى ـ د. نبيلة ابراهيم ـ دار نهضة مصر ص ٩١

(٢) بحث حول الحكاية الشعبية ـ د. عبد الملك مرتاض ـ مجلة التراث الشعبى عدد ١ سنة ٧٢

على الاحداث وبترجم قيمه ومثله العليا .. وما من سيرة او ملحمة الا وتحكى الصراع بين العرب واعدائهم انتصارا للحق والفضيلة ودفاعا عن الذات والوطن«١» .

والسير الشعبية التى انتجها الخيال والتى نعتبرها ذخيرة ادبية كبيرة .. لم نصل الينا كلها«٢» .. وانما وصل الينا منها مجموعة قليلة هى عنترة بن شداد وذات الهمة وفتوح اليمن والسير الهلالية والظاهر بيبرس وسيف بن ذى يزن وحمزة البهلوان وفيروز شاه واحمد الدنف وعلى الزيبق وغيرها كثير مما اشار اليه كثير من الدارسين ولم نضع ايدينا على مخطوطاتها بعد .

والحكاية الشعبية تعرف صنوف السحر المختلفة وتعرف اشكال العالم المجهول .. بل ان الانسان فى الحكاية الشعبية يشعر بعلاقة قهرية بينه وبين هذا العالم ومع كل هذا كان تصوير السحر والعالم المجهول يختلف كل الاختلاف فى الحكاية الشعبية عنه فى الحكاية الخرافية .. وان كان الانسان فى الحكاية الشعبية يؤمن بالسحر وبأثره الفعال فى حياته الا انه ينظر اليه بوصفه قوة منعزلة عن حياته الواقعية .

وحكايات الجان كما يقول الدكتور عبد الحميد يونس (٣) هى نمط من انماط الحكايات الشعبية تغلب عليها صفة الخوارق وتقوم بالاحداث فيها شخصيات خارقة أيضا .. وحكايات الجان تدور احداثها دائما فى بلاد بعيدة .. ويخرجها هذا البعد السحيق فى تصور الناس من عالم الواقع .

كذلك .. حفلت الحكايات الشعبية بالالغاز منذ فجر التعبير الانسانى«٤» بل ان هناك حكايات عالمية لاتزال تدور احداثها حول الالغاز ، واللغز كما هو واضح عبارة عن مسألة تطلب لها حلا لما تنطوى عليه من غموض .

وقد اكد يوهان هردر (٥) وهو واحد من عالمين المانيين ظهرا فى القرن التاسع عشر وكان لهما فضل الريادة لتيار فكرى جديد قاد الى الاهتمام العلمى الجاد بالتراث الالمانى .. اكد على اهمية الحكايات الشعبية والاساطير كبقايا للمعتقدات الشعبية القديمة .. فالحكاية الشعبية فى رأيه ليست بثرثرة عجائز لا منطق لها .. ولا هى اختراع صرف . وانما هى ملك للشعب ونتاج قواه الشاعرية المبدعة . وفى هذا يقول ان الحكايات الشعبية بأسرها ومثلها الحكايات الخرافية والاساطير هى بكل تأكيد بقايا المعتقدات الشعبية

---

١) اشكال التعبير فى الادب الشعبى ـ د. نبيلة ابراهيم ـ دار نهضة مصر ص ١٢٢

٢) اضواء على السير الشعبية ـ فاروق خورشيد ـ المكتبة الثقافية ـ ص ٢١

٣) الحكاية الشعبية ـ د. عبد الحميد يونس ـ المكتبة الثقافية ص ٤٣

٤) المصدر السابق ص ٩١

٥) دراسات فى الفولكلور ـ د. احمد ابو زيد واخرون ـ دار الثقافة بالقاهرة ـ ص ٢٩

كما انها بقايا تأملات الشعب الحسية وبقايا قواه وخبراته حينما كان الانسان يحلم لانه لم يكن يعرف وحينما كان يؤثر فيما حوله بروح ساذجة غير منقسمة على نفسها .

وقد لعب الوعاظ دورا كبيرا في العمل على اثراء التراث الشعبي بالقصص الديني المشبع بعنصر الخيال (١) والواقع أن الوعظ فتح مجالا طريفا لرواية الحكايات الخيالية الرمزية التي تخدم غرضا اخلاقيا وذلك الى جانب الروايات الدينية الموثوق فيها .

والشعب العربي الذي اغرم بالقصص وبالرواية منذ القدم لم يعد يقتصر بعد على سماع الحكايات الدينية الرمزية منها وغير الرمزية من الوعاظ بل اصبح القصاصون في كل مكان يلعبون دورا كبيرا في امتاع الناس بحكاياتهم . والحكاية الشعبية بنية مركزة تخدم باصنافها المتعددة جوانب الحياة النفسية المتشعبة في حياة الشعب ومن بينهم جمهور الاطفال .

ويرى د. عبد الحميد يونس ان الحكاية الشعبية هي اهم الاشكال التي تصلح للطفل وهي تعد الحلقة الكبرى في التراث الادبي الشعبي ، ويرى انها بمضامينها ومحاورها خط مشترك بين العرب ، وجميعها تستهدف التصعيد الى مثال تحرص الانسانية او الجماعة عليه كما تستهدف تثبيت القيم الانسانية العليا بالاضافة الى الترفيه والتعليم .

اما الاستاذ احمد نجيب فيرى ان اشكال التعبير الشعبي يجب ان تمر بمقاييس العصر ومعاييره قبل ان يعاد تقديمها للاطفال .. ويشمل هذا فيما يشمل تنقيتها من الخيالات المفزعة والقيم الضارة والشوائب المختلفة .

ويرى الدكتور عبد العزيز عبد المجيد (٢) ان بعض الحكايات تحتوي على عناصر سيئة ، وهذه اذا تركت من غير اصلاح او تهذيب واشراف عليها .. ربما كانت عاملا سيئا في تربية الطفل .. لان المعلومات والحوادث التي تتضمنها هذه الحكايات تؤثر في تكوين الطفل العقلي والخلقي ، وفي ذوقه وخياله ولغته . ولما كانت مهمة المدرسة تربوية يرى الدكتور عبد العزيز عبد المجيد الا تهمل المدرسة الناحية التربوية التي يكتسبها الطفل من الادب القصصي الشعبي لان كثيرا من هذا الادب قد شوهته البيئة الجاهلة ولا سيما بيئة المنزل الذي لا تشرف عليه ام متعلمة .. والقصص الشعبية مليئة بالحوادث المزعجة وغير المناسبة والتي في كثير من الاحوال لا تستطيع الامهات اختيار المناسب منها لسرده على الطفل .

والحكايات الشعبية كما يقول الدكتور عبد الحميد يونس (٣) لاتزال عند الاطفال من اهم دعائم التراث الانساني ولا تقول الشعبي فقط .

---

(١) الدراسات الشعبية ـ د. نبيلة ابراهيم ـ مكتبة القاهرة الحديثة ـ ص ١٢٠
(٢) القصة في التربية ـ د. عبد العزيز عبد المجيد ـ دار المعارف ـ ص ٩
(٣) د. عبد الحميد يونس ـ التراث الشعبي في ادب الاطفال ـ جريدة الاهرام ٢٠-١-٧٩

الفصل الرابع

التفكير الخرافي

يأتي التفكير الخرافي كمظهر من اهم مظاهر التراث الشعبي .. الذى تناقلته الاجيال جيلا بعد جيل . ويقول الدكتور نجيب اسكندر ابراهيم مبديا رايه في التفكير الخرافي (١) الافكار الخرافية من اكثر الانماط والاتجاهات الفكرية خطرا على التنمية .. وما لم يتغير تفكيرنا الى التفكير العلمى فاننا سنتعثر فى التنمية الاقتصادية والتقدم الحضارى ، وقد دلت البحوث العلمية ان فى مجتمعنا حوالى ٣٠٠ خرافة ، الكثير منها قديم جدا يعود الى عصر الفراعنة لكنه لايزال يحكم تصرفاتنا للان .. وبعضها يرجع الى ابعد من هذا ، الى العصر الحجرى مثلا ، وكما ان عدد الخرافات كبير فان نسبة انتشارها ايضا كبيرة .. فقد ثبت ان ٩٦٪ من اهل ريف مصر وان ٦٢٪ من اهل المدن يؤمنون بالخرافات .

وقد روى لى احد الاشخاص المتعلمين القصة التالية التى تؤكد ايمان الناس بالمشايخ وبمن يزعمون معرفة الغيب ويعالجون مرضاهم بطريقة الشعوذة ..

بينما كان الطفل الصغير البالغ من العمر ثماني سنوات يجلس مع افراد اسرته تركهم فجأة وغاب عن عيونهم .. ولما بحثوا عنه .. وجدوه نائما فى زاوية احدى غرف المنزل والدم يسيل من فمه وعرضه اهله على الاطباء ودخل مستشفى قصر العيني القديم فى قسم الدكتور المفتى وبعد اربعة عشر يوما من بقائه فى المستشفى قرر الدكتور انور المفتى رحمه الله خروجه من المستشفى لانه شفى مما به .

وبينما كان الدكتور يؤشر على الاوراق بالخروج نزل الدم فجأة من فم الطفل وهو يقف امام الدكتور فأخذ يقلب فى فمه من جميع النواحى ليعرف مصدر الدم ولكن دون فائدة .. واخيرا قرر خروجه .

وبعدها .. بدأ اهله يترددون على المشايخ ومن يدعون معرفة الغيب .. وكان كل واحد منهم يقرر علاجا خاصا .. بعضهم طلب من اهل الطفل ان يكتبوا على سبع اطباق صيني ثم يغسلون الاطباق بالماء وبعد ذلك يشرب الطفل جزءا من الماء ثم يستحم بالباقي .. ومنهم من كتب حجابا به كلام خاص وطلب وضع الحجاب تحت راس الطفل اثناء نومه . واستمر اهل الطفل على هذا المنوال حتى سمعوا بسيدة تدعى الشيخة نور وكانت تقيم فى حى الامام الشافعى وتوفيت منذ فترة .. ولما سمع اهل الطفل بهذه الشيخة وبركاتها ذهبوا اليها فكتبت لهم قصاصة من الورق ذكرت فيها نوع العلاج .. واحضر

---

(١) التفكير الخرافي ـ د. نجيب اسكندر ابراهيم ـ مكتبة الانجلو المصرية .

اهل الطفل العلاج من عند احد العطارين بمبلغ بسيط .. واذابوه فى الماء كما سبق واخبرتهم ثم سفوا الطفل بعضه على الريق . وكان ان ارتفع الالم وزال الدم وشفى الطفل بعد أن حار الاطباء فى امره .

وصادف انه بعد شفاء الطفل بسنة ضايقه عمه فنزل الدم من فمه مرة اخرى . فذهبت امه الى الشيخة نور للمرة الثانية فكتبت لها نفس العلاج وعاد الطفل الى طبيعته وشفى تماما مما اصابه ، وهو الان رجل متزوج وله اولاد .

هذه القصة تؤكد مدى ايمان الناس بالمشايخ .. هذا الايمان الذى توارثته الاجيال عن بعضها والذى تؤكده النتائج الطيبة التى يقال انها تتم فى حالة اللجوء الى مثل هؤلاء المشايخ .

وكان الزار من اكثر الخرافات انتشارا فى المجتمع المصرى ولكنه الان بدأ ينقرض ويقل وقد ظلت ممارسة حفلات الزار مقصورة الى عهد قريب على السيدات اللاتى ينتمن الى اصل سودانى او حبشى (١) حتى بدات تأخذ عنهن اسرار ذلك العمل بعض السيدات المصريات اللاتى تخرجن على ايديهن ، ومع ذلك فلا تخلو احدى هذه الحفلات حتى الان من فرقة سودانية تحمل اسم احدى المعلمات السودانيات الاوليات مثل فرقة (اولاد مامة) وفرقة (اولاد بعرس) و (جماعة الست خضرة)

واهم ما يتميز به راقصو الفرق السودانية فى تلك الحفلات التمنطق بحوافر الاغنام والودع والامساك بالرماح الطويلة واداء بعض الرقصات السودانية بأدواتها الموسيقية المعروفة كالدلوكة والطنبورة مع ترديد الفاظ وعبارات ذات لهجة سودانية تحفظها السيدات المصريات اللاتى يكثرن من التردد على تلك الحفلات ظهرا عن قلب وقلما يفهمن معانيها . وتتخلل بعض هذه الالفاظ والعبارات اسماء بعض الاولياء السودانيين وبعض الاماكن السودانية .

ويأتى ضمن المعتقدات الشعبية القديمة ظاهرة الحسد .. والتى سبقت الاشارة اليها فظاهرة الحسد نشأت ضمن المعتقدات القديمة وهى شأنها شأن الظواهر الفولكلورية تتسم بطابعها الجمعى (٢) . واستمرت هذه الظاهرة تعيش مع الانسان الذى مر بمراحل حضارية بعد ذلك . ولم يكن الرقى الفكرى والعلمى قادرا على القضاء على هذه المعتقدات ، وفى عصرنا الحاضر اتخذت

---

١) الزرات السودانية فى العقائد والعادات الشعبية فى مصر — ابراهيم الفحام — مجلة التراث الشعبى — عدد ٢ سنة ٧٧

٢) ظاهرة الحسد — د. نبيلة ابراهيم — مجلة الفنون الشعبية الاردنية — عدد ١٢ سنة ٧٦

ظاهرة الحسد مظهرا اجتماعيا حقا وان كانت ماتزال تحتفظ ببعض اصولها الفولكلورية .

وهناك عادات التشاؤم من بعض الظواهر (١) مثل التشاؤم من احصاء الشيء أو عده . وهذه العادة تتشابه وتتماثل فى كثير من شعوب العالم .. كأن يعد احدهم ابقاره او افراده او ممتلكاته فهى تعتبر نذير شؤم . وفى بعض البلاد العربية يتشاءمون من ذكر بعض الاعداد مثلا العدد (٥) بدلا من ذكره يقولون (يدك) والعدد (٧) عندما يصلون اليه يمرون عنه دون ذكره او يقولون كلمة (بركة) او (سمحة) وعند تسعة يقولون (صلوا على النبى) او (تسعد يللى تصلى على النبى) .

وعادة تخطى العتبات منتشرة عند كثير من الشعوب ومنها الشعب العربى .. فعلى سبيل المثال .. عندما تزف العروس الى بيت زوجها وحين تصل الى عتبة بابه يحملها عريسها او اخوها او ابوها بين ذراعيه ، وعند بعضهم تتخطى عتبة الباب دون ملامستها .

وهذا الحذر الشديد والمعارضة للمس الاعتاب مرجعه الى ان بعض الشعوب تعتقد بأن الاعتاب تسكنها الارواح الشريرة وارواح الموتى .. وتعتقد بعض الشعوب الاسلامية بأن كل بيت من البيوت لا يخلو من وجود ارواح بداخله كالجن مثلا .. فهم حين يدخلون مكانا غريبا يبداون بالبسملة اى بقولهم « بسم الله الرحمن الرحيم » اعتقادا منهم ان هذه البسملة ستحفظهم وستباركهم وتطرد اى روح شريرة اوما شابه ذلك .

ومن المعتقدات الشعبية الاعتقاد باستبدال الاطفال من البشر بأطفال من عالم الجان (٢) . ومن الذرائع لوقوع هذا الاستبدال رغبة الجان فى ان يقوم بارضاع اطفالهن مرضعات من البشر والبحث عن اطفال ادميين لكى يقدمهم الجان قرابينا للشياطين . والناس يعتقدون فى اماكن شتى من العالم ان هناك من الوسائل ما يحول بين الجان وبين اختطاف اطفالهم ، وهم يستعينون لذلك ببعض الادوات كالمدى والمقصات والمسامير وانواع من النبات كالثوم والبصل وبعض حبات القمح والملح الى جانب تحصينهم بالكتب المقدسة والتعاويذ والاحجبة .

ومن المعتقدات الشائعة ان من يتناول طعام الجان يستحيل عليه العودة الى دنيا الناس .. وتذهب بعض الجماعات الى ان الحلقات الخضراء القائمة

---

١) احمد صالح بن غويل ـ عادات متشابهة بين العرب وشعوب العالم ـ مجلة التراث الشعبى عدد ٦ سنة ٧٧ ص ١٥

٢) الحكاية الشعبية ـ د. عبد الحميد يونس ـ المكتبة الثقافية ـ ص ٥٢ وما بعدها

التى تظهر وسط الحشائش فى الحقول أو المراعى ما هى الا حلبات رقص للعفاريت ، ومن الخطأ الفادح ان يقتحم امرؤ احدى هذه الحلقات البرية التى لم يتدخل الانسان فى تهيئتها خشيه أن يصاب بأذى جسيم .

وقد ظلت المعتقدات والتصورات السحرية تعيش فى ضمائر الناس وكان لها اثر كبير فى سلوكهم . وعلى الرغم من ان الاسلام حاول أن يقضى على كثير من اشكال السحر والخرافة فان السحر والخرافة لهما تأثيرهما الدائم فى تفكير الناس فى كل عصر من العصور (١) . وكل ما حدث هو ان الناس غلفوا هذه المعتقدات بغلاف اسلامى وبذلك تسلحت طقوس السحر والخرافات بسلاح مكنها ان تعيش على الدوام .

---

(١) الدراسات النفسية بين النظرية والتطبيق - د. نبيلة ابراهيم - مكتبة القاهرة ص ١٢٧

الفصل الخامس

الموسيقى والغناء الشعبى

تلعب الموسيقى دورا وظيفيا اكبر بكثير من مجرد الترفيه (١) . ففى المجتمعات البدائية كان من الطبيعى ان يتعلم الاطفال عن طريق المحاكاه الاغنيات والتراتيل ودقات الطبول التى ترتبط جميعها بالاحتفالات الدينية .. وفى التربية الحديثة تهدف الموسيقى لان تحقق للانسان نموا متكاملا فى مختلف نواحيه الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية والمهنيـــة .. فالتربية الموسيقية جزء من التربية العامة ، والثقافة الموسيقية تجعل من الفرد انسانا غنيا بالاحاسيس سريعا فى التجاوب مع غيره بصدق واخلاص ، والموسيقى الشعبية تساعد على ربط الانسان الحديث بتراثه ، ويمكن للموسيقى ان تكون وسيلة لان يتعلم الطفل الكثير من المفاهيم التى يصعب استيعابها من خلال الوسائل الاخرى .

وتنمية الذوق الموسيقى لدى الطفل من المسئوليات الثقافية الاساسية التى تقع على عاتق لا المتخصصين فى فن الموسيقى فحسب ، بل ايضا على عاتق كل من يتصدى لمعاونة الطفل على ترقى شخصيته واستكمالها . والمؤلف الموسيقى بناء فنى يخاطب وعى الانسان ووجدانه واحاسيســـه .. كما ان المؤلفات الموسيقية على اختلاف الوانها واشكالها منجزات ابداعية تعمل على تقويم الحالات الوجدانية وصقلها . والطفل المتلقى لا يقل ايجابية عن الراشد المتلقى فالطفل يتجاوب مع الايقاعات ويهتز لها طربا وهذه المعايشة الايجابية مع العمل الموسيقى لا يمارسها الا الطفل الســوى الذى يكون قد اتيحت له خبرات تعبيرية ابتكارية مع مواد العالم الذى يعيش فيه من جهة ولقاءات منتظمة مع تذوق المنجزات الفنية من جهة ثانية .

والشعب العربى يحب الموسيقى .. وهذه صفة من الصفات المستحبة فهو موسيقى بفطرته تؤثر الموسيقى فى نفسه اثرها ، فيستجيب لسحرها ويطرب للحنها ، وتراه من تأثيـرها لا يستطيع كبح جمـاح عواطفه فينطلق بكلمات الاعجاب والطرب عند سماعها (٢) . والمعروف ان الموسيقى اجمالا تحدث لدى مستمعيها تجاوبات شتى فهناك التجاوب الجسدى والتجاوب العقلى والتجاوب العاطفى . والموسيقى كما قال بتهوفن لغة القلب والروح وهى المركز الذى تتولد فيه عواطفنا تلك العواطف التى تجيش بالاستماع الى الموسيقى .

والاغنية الشعبية عند الامم .. تنشق من اصل واحد ذى موضوع مشترك يعكس البيئة والحالة النفسية والعادات الملازمة لتلك الشعوب .. فهى اغان

---

(١) التربية الموسيقية واهدافها فى الوطن العربى – عفاف حسن – مجلة الفن الاذاعى عدد ٥٢

(٢) الفنون الشعبية فى فلسطين – يسرى جوهرية عرنيطة – ص ٢١ وما بعدها

فطرية لا اثر فيها لصنعة متعمدة ، ارتجلها فرد مجهول من افراد الشعب بطريقة بدائية لا كلفة فيها ولا تكنيك وتناقلها الابناء عن ابائهم والبنات عن امهاتهن .. وترافق هذه الاغنيات صورة واضحة عن العادات والخرافات والمعتقدات التى تتحلى بها تلك الشعوب .

ورغم الاختلاف الفنى والنظرى بين موسيقى الشعوب ورغم التفاوت فى فطرتها او عزلتها او استقلالها فهناك رابط بل قاسم مشترك يجمع بينها وهذا القاسم المشترك هو اداء الاغانى الشعبية بشكل بسيط ساذج غير متقيدين بتقليد او باداب السماع فان احس احدهم بالخروج عن اللحن المعروف وحتى بالصراخ فعل .

ومن ابرز الاغانى الشعبية والتى رايت ان اسوقها فى هذا المجال .. اغنية يا بهية وتقول الكلمات الاصلية لهذه الاغنية الشعبية :

وجولى لـه يابهيـة	ع اللى قتـل ياسيـن
جتلـوه السـودانية	من فـوق ظهـر الهجين
وياسيـن غرقان فى دمـه	خايف منـه الحكيـم
وبهيـة فى المحـاكم	شـادة واحـد وكيـل
احكـم يـا بيـه النيـابة	قدامـك مظاليـم
حط الطربوش على ناحيـة	وحكـم باربـع سـنين
اتنين فى السـجن العـالى	واتنيـن فى الزنازيـن
وعـد ومكتـوب علـى	ومسـطر عالجبيـن

واذا كانت اغنية يا بهية تنتشر فى جميع انحاء مصر .. بل وامتدت لاكثر من بلد عربى ، هناك نوعيات من الاغانى نجدها تتركز فى منطقة دون اخرى ومن الاغانى الشعبية التى تغنى فى منطقة اسوان هذه الاغنية :

خلى الهـوا لصـحابه	يللـى متجلـدين
روح يا خـولى الجنينـة	غـز الجنـايا تيـن
وانتى تقـولى بالانى	وانـا بالانى ميـن
سـلم عـالاى بالشـولا	منى خبـا اليميـن
يـا بربرى البـوابة	سـيد السـرايا ميـن

والاغنية الشعبية تعتبر رباطا يربط افراد الجماعة بعضهم بعضا وبين هذه الجماعة ورئيسها بما هو فى صالح العمل نفسه كما ان الاغنية الشعبية تعبر عن الاحساس الجماعى تعبيرا صادقا .

ويقول الاثرى الفرنسى « جاستون ماسبرو » فى بحث له عن الاغانى

الشعبية الصعيدية (١) نشره فى العدد الرابع عشر من مجلة مصلحة الاثار والحوليات سنة ١٩١٤ يغنى الناس كثيرا فى مصر .. فى البيت وفى الاحفال الخاصة .. وفى الحقول وعلى صفحة النهر .. وفى الاحفال العامة .

ويعتبر الموال مظهرا من مظاهر الاغنية الشعبية .. وقد عرف الموال منذ زمن طويل وتناقلت رواياته حتى صادف هوى عند الشعوب العربية وبخاصة الشعب المصرى (٢) ، فبث فى قالبه الايقاعى اماله واحزانه كما حكى حكايات قصيرة وطويلةمعا ، مثل حكاية ادهم الشرقاوى وحسن ونعيمة وزاهر ونرجس وحكاية عز العرب وغيرها .. وانسب فى ان الموال مازال يعيش حتى اليوم بوصفه نمطا بعينه هو استمرار روايته فى الصيغة الايقاعية التى تألف فيها ، وطالما كان الموال يؤدى وظيفة جمالية فى حياة الشعب فان منشد الموال يمكن ان يستغله اجمل استغلال فى حدود الاحتفاظ بشكله الاساسى .

والموال هو سرد ملحن ذو نصوص منظومة مقفاه (٣) ويبدأ الموال عادة بمقدمة مميزة هى يا ليل وتنسجم مع صياغة الاغنية ولحنها .. ومن المواويل التى تقال فى ظلم الحبيب هذا الموال :

يا ليـل يا ليـل يا ليـــل يا ليـــل ياعينى
لصوم عن الزاد كل يوم وافطـر علـى المـر
وكف قدمى على اللى سمعنى كـــلام المـــر
بايدى سقيته العســـل بايدو ســقانى المـر
لو كان يســتحق العتب كنـــا عتبنـــاه
ما يستحق العتب الا الجسم السـليم الحـر

واشكال الموال تنقسم الى نوعين متميزين (٤) :

النوع الاول : هو الذى استقر على شكل معين محدد ومن هذا النوع (الموال البغدادى) ويتميز بانه يتكون من اربعة ابيات متحدة القافية .. ومن امثلة هذا النوع :

ابن الكـــرم فى الكـرم عاش عمـره متعلم
مادام اســاسه عريض يكـــرم ويتعلـــم
فيه فـرق واضـح ما بيـن جاهـل ومتعلم
الاب بشــــكر مادام الابـن متعلـــــم

---

١) الدكتور حسن صبحى بكرى ـ بحث فى الاغانى الشعبية ـ مجلة الفنون الشعبية عـدد ٢ ص ٤٢
٢) الدراسات الشعبية بين النظـرية والتطبيق ـ د. نبيلة ابراهيم ـ مكتبة القاهرة ـ ص ٢١٦
٣) عفاف حسين ـ الموسيقى الشـعبية ـ المكتبة الثقافية ـ ص ٢٧
٤) الاغنية الشعبية ـ د. احمد مرسى ـ مجلة الفن الاذاعى العدد ٦٢

والنوع الثانى : هو الموال « الاعرج » او « الخماسى » ويتكون من خمسة ابيات تتحد فى القافية الابيات الثلاثة الاولى وقافية البيت الخامس اما قافية البيت الرابع فتختلف .

وهناك نوع ثالث يتكون من سبعة ابيات ويسمى « النعمانى » او « السبعاوى » وهذا النوع يتميز بان الابيات الاول والثانى والثالث والسابع متفقة القافية اما الابيات الرابع والخامس والسادس فمن قافية اخرى مغايرة للابيات السابقة .

والى جانب هذه الاشكال الاساسية السائدة هناك اشكال اخرى لا تعرف تسميات خاصة بها ولا تلتزم بعدد محدد من الابيات .

والاغنية الشعبية والموال الى جانب كونهما يمثلان الاغنية الشعبية فهما لونان من الوان الشعر الشعبى .. والشعر الشعبى يتمثل الى جانب ذلك فى الموشح والزجل . وقد نشأ الشعر الشعبى من نفس اسلوب حياة الجماهير الشعبية (١) اذ يغنى الناس اغانيهم بتأثير الانطباع المباشر لخبراتهم الانفعالية

والى جانب اغانى الكبار نجد هناك اغانى الاطفال .. واغانى الاطفال تندرج تحت نوعين :

— اغنيات تقال للاطفال .. وهى اغانى المهد ، وهذا النوع يستخدم عادة لتنويم الاطفال ويكون ايقاعها بشكل معين يساعد على نوم الطفل .. وهذه الاغانى يستوعبها التراث الشعبى فى جميع اطوار التاريخ الثقافى والحضارى وكانت تسمى « المرقصات » لاعتمادها على الحركة المرتبة التى جعلت مهد الطفل ارجوحة فى معظم الاحيان .. ومعظم هذه الاغانى ترمى الى توجيه الاطفال وتنمية الحركة والايقاع فيهم .

ويقول الدكتور عبد الحميد يونس (٢) وتعد اغنية المهد من اهم فنون الغناء الشعبى ، وهى تنمو وتتطور بنمو الطفل وتطوره .. وتتجاوز وظيفتها الاولى الى سائر الوظائف فى التربية ومن هذه الاغانى ما يشتهر حتى يتجاوز المدينة الى الريف والبادية ، وكل امرىء يحتفظ فى اعماق ذاكرته بعبارات ونغمات وصور من اغانى المهد او المرقصات ، وتساير الاغنية الشعبية التدرب على المشى حتى تصبح وسيلة اصلية من وسائل التربية .. وهى تعبر عن الخطوة والحركة لكى تستقر التجربة فى وعى الطفل ابان تلك المرحلة .

ومن اشهر اغانى المهد .. اغنية « نام يا حبيبى نام وادبحلك جوزين حمام » واغنية « تاتا خطى العتبة تاتا حبة حبة » .

---

(١) الفولكلور قضاياه وتاريخه — يورى سوكولوف — ترجمة حلمى شعراوى وعبد الحميد حواس — ص ٤٤

(٢) التراث الشعبى فى ادب الاطفال — د. عبد الحميد يونس — جريدة الاهرام فى ٢٠-١-٧٩

اما النوع الثانى .. فهو الاغانى التى يرددها الاطفال فى المناسبات المختلفة ومن امثلتها .. اغنية « على يا عليوه يللى ضرب الزميرة يللى » واغنية و« يا برتقان يا اصغر يا كبير » والاغانى التى تقال فى أسبوع المولود واشهرها « يارب يا ربنا يكبر ويبقى زينا » واغنية « حلقاتك برجلاتك حلق دهب فى ودناتك » وأغنية «يا ملح دارنا كتر صبيانا ياملح دارنا كتر عيالنا » كما ان هناك الاغانى التى تواكب شهر رمضان مثل اغنية « وحوى يا وحوى » والاغانى التى تقال فى مناسبة ختان الاطفال الذكور مثل اغنية « يا مطاهر » واغنية « دارى يامزين دارى سمعنى عياط الغالى » . وفى مجال الاغنية السياسية نجد من الاغانى التى ترددت على السنة الاطفال اغنية « يا عزيز كبة تاخد الانجليز » كما ان هناك اغانى العاب الاطفال وهى كثيرة

والالغاز الى جانب كونها فى الحكاية الشعبية نجدها كذلك فى الاغنية الشعبية .. ومن ابرز اغانى الالغاز التى يرددها الاطفال اغنية « هينا مقص وهينا مقص » .

ولكى نميز الاغنية الشعبية نراعى فيها ما يلى (١)

— الاغنية الشعبية تبلغ اوج مجدها بازدهارها فى المجتمعات الشعبية حيث لا يوجد لها نص مدون سواء كان هذا النص شعريا او موسيقيا .

— الاغنية الشعبية اكثر محافظة على الاسلوب الموسيقى الذى تستخدمه بالقياس الى غيرها من الاغانى

— اسماء الذين الفوا الاغانى مجهولة تماما عن المغنيين فيما عدا المحترفين منهم والذين يكتب لهم مؤلفون معروفون بالنسبة اليهم اغان ومواويل خاصة بهم ..

اما الالات الموسيقية الشعبية فتنقسم الى اربع مجموعات ..

اولا : مجموعة الغاب .. وتتكون من :

أ : الصفارة (السلامية) والسلامية تشبه الناى من جهة الشكل الا انها تقل عنه ثقبا ويعوضه العازف الشعبى بالعفق باصبعه

ب : الارغول .. والارغول عبارة عن انبوتين من الغاب احداهما تعطى قرار اللحن والثانية تعطى الزخرفة اللحنية وينقسم الارغول الى عدة اقسام (الارغول الطويل ، الارغول المتوسط والطومار .. وينتهى هذا النوع بقمع من الصفيح او المعدن ، والارغو ل الصغير ويسمى القرمة) .

---

١) عفاف حسين — الموسيقى الشعبية — مجلة الفن الاذاعى العدد ٦٧.

ثانيا : مجموعة المزمار .. وتنقسم الى نوعين .. المزمار البلدى ويسمى « الشلبية » ، والمزمار الصعيدى ويسمى « السبس » والمزمار البلدى اطول من المزمار الصعيدى واقل منه حدة فى النغم .

ثالثا : الآلات الوترية .. وتنقسم الى قسمين الات العفق مثل القيثارة (الطنبورة) والسمسية والات القوس مثل الرباب او الربابة .

رابعا : الايقاعات : وتنقسم الى قسمين :

ا : الآلات الايقاعية ذات الرق مثل الدربكة ، الدهلة ، الرق ، المزهر ، الحق ، المازة ، النقرزان ، والطبل البلدى .

ب : الات النقر المصونة بذاتها .. وهى الصاجات التى تستعملها الراقصات وتكون عبارة عن زوج من الصنوج النحاسية ، وقد تستعمل انواع اكبر تسمى « كيان »

الفصل السادس

الامثال والنكتة الشعبية

يعتبر المثل الشعبي والنكتة اكثر الانواع الادبية الشعبية جريانا على الالسن ، وفي تعريف المثل الشعبي يقول الاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي في تقديمه لكتاب الامثال البغدادية للشيخ جلال الحنفي (١) « الامثال في كل قوم خلاصة تجاربهم ومحصول خبراتهم ، وهي اقوال تدل على اصابة المحز وتطبيق المفصل ، والامثال ضرب من التعبير عما تزخر به النفس من علم وخبرة وحقائق واقعية بعيدة كل البعد عن الوهم والخيال »

وقد عرف الاستاذ احمد امين الامثال الشعبية (٢) بانها نوع من انواع الادب يمتاز بايجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية ولا تكاد تخلو منها امة من الامم ، ومزية الامثال انها تنبع من كل طبقات الشعب .

اما الاستاذ « فريد ريك زايلر » فيعرف المثل الشعبي في مقدمة كتابه « علم الامثال الشعبية » الذي نشر عام ١٩٢٢ بانه القول الجاري على السنة الشعب ، الذي يتميز بطابع تعليمي او بشكل ادبي مكتمل يسمو على اشكال التعبير المألوفة .

والامثال الشعبية كما يقول الدكتور عبد الحميد يونس (٣) تلخص ثقافة الشعب او « حكمة الشعب » وهي تختزن تجارب الحياة وتكشف عن مقومات المجتمع خلال العصور وتميط اللثام عن تأثير مختلف البيئات والاوضاع في اتجاهات الناس ومناحي سلوكهم . والامثال الشعبية تصدر عن الفطرة الطبيعية بلا تكلف .

والامثال الشعبية ان لم تهدف الى غرض تعليمي فهي تهدف من خلال تلخيصها للتجارب الفردية الى نقد الحياة ، وكثيرا ما يشعرنا المثل بنقص في عالم الاخلاق ، وليس هذا سوى انعكاس لما يسود عالمنا التجريبي من عيوب اخلاقية .. اما من الوجهة النفسية الفردية والجماعية فيمكن استغلال المثل الشعبي لاستجلاء الخصائص النفسية والمميزات الشعورية والسلوكية للجماعة التي اطلقته .

ومن الامثال الشعبية الخاصة بالمناخ والحالة الاجتماعية

ـ لا خير في زاد يجي مشحوط ولا ميل يجي في توت

ـ في بابة خش واقفل الدرابة .

---

(١) الامثال البغدادية للشيخ جلال الحنفي

(٢) قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ـ احمد امين ـ لجنة التاليف والنشر

(٣) الادب الشعبي ـ د. عبد الحميد يونس ـ مجلة الفنون الشعبية ـ العدد الثاني

- طوبة ابو البرد والعفونة .

- امشير ابو الزعابيز الكتير قبة النهار يزيد خلق حصير

ومن الامثال التى ترتبط بالمناخ والزراعة

- اللى يزرع ذرة فى بابه يأخذ قلحة من غير كوز

- ابيب طباخ العنب والتين

ونحن نعيش الماضي والحاضر ونخاف المستقبل (1) ومن القيم السلبية فى مجتمعنا ان « المستقبل بيد الله » و « الله كفينا شر المخبى فى الغيب » ومن ثم لا معنى للتخطيط للمستقبل لاننا « نحن فى التفكير والله فى التدبير » و « كله على الله » وهذا يقال تهربا من المسئولية لان الله يأمرنا بالكد والعمل . ومن الامثلة الشعبية التى تقال فى هذا الشأن :

- اسعى يا عبدى وانا اسعى معاك .

- البلد اللى مش مكفيك خيرها دور على غيرها .

- مطرح ما ترزق .. الزق

وتتعدد صور الامثال الشعبية وتتطرق الى مختلف الموضوعات والقضايا التى تتصل بالحياة والمجتمع .. وان كانت الامثال الشعبية تتردد على السنة الكبار فالاطفال الصغار ايضا يحفظون الامثال الشعبية ويرددونها . وفى لقاء لى مع عينة عشوائية من تلاميذ مدرسة الاشراف الابتدائية بحى المنيل بالقاهرة تتكون من عشرة من الاولاد والبنات عرفت انهم يعرفون العديد من الامثال الشعبية وهذه بعض الامثال التى تدور على السنتهم :

- حجة البليد مسح التختة .

- اللى ما يشوفش م الغربال يبقى اعمى

- يدى الحلق للى بلا ودان .

- حمارتك العرجة تغنيك عن سؤال اللئيم .

- الشاطرة تغزل برجل حمار والخايبة تعلق المنشار .

- اللى ياكل حاجة نية توجعه بطنه .

- المال السايب يعلم السرقة .

- اكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة .

---

(1) سيكولوجية الشخصية المصرية د. [illegible] - مؤسسة روز اليوسف ص ٤٨

وقد كنت اظنهم يرددون هذه الإمثال دون معرفة او إهتمام بما تحمله من حكمة ومعنى ولكنى فوجئت بمعرفتهم بما تدور عليه هذه الإمثال ودرايتهم بالحكمة التى وراءها .. وهذا يعني ان الطفل المصرى ينفعل بالمثل الشعبي كما ينفعل ببقية الوان الفنون الشعبية

ويلعب الذكاء دورا هاما فى هذه الناحية .. وقد جاء فى تقرير لمنظمة اليونيسف عن الطفولة عام ١٩٣٤ ان اختبارات الذكاء التى اجرتها الإمم المتحدة على ستة آلاف طفل يمثلون ستين دولة تضع الطفل المصرى فى الفئة الاولى من حيث الذكاء والقدرة على الاستيعاب .

والى جانب اهتمام الطفل المصرى بالمثل الشعبى نجده يجيد التعبير من خلال النكتة باعتبارها مظهرا آخر من مظاهر التراث الشعبى .

والنكتة نتاج ادبى ينبع من الأهتمام الروحى للشعب (١) شأنها شأن الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية والاسطورة واللغز الى غير ذلك .. والنكتة خبر قصير فى شكل حكاية او فى عبارة او لفظة تثير الضحك .. فعالم النكتة هو عالم المرح والسخريه .. والاثر النفسى الذى تحدثه النكتة هو المتعة الجمالية وهى الاحساس بالسعاده . كما ان النكتة تسد احتياجات دوافع نفسية خفية تنشأ عن احساس الانسان بعقبات تحول دون تحقيق رغباته الكاملة وربما تمثلت هذه العقبات فى مجرد الاحساس بتوتر يعني مصحوب بتهديد وخوف يحملان الفرد تبعات نفسية اذا هو رضخ لها .. وربما تمثلت هذه العقبات فى التربية والقيود الاجتماعية التى يخضع لها الفرد وبالمثل فانه كلما كانت الاوضاع الاجتماعية عاجزة عن تحقيق السعادة الكاملة للانسان فانه لا يستطيع ان يخفى الصوت الداخلى بذات نفسه ولا يعنى هذا ان المجتمع فى كل زمان ومكان مقصر فى حق الانسان ولكنه يعنى ان المجتمع لا يمكن ان يحقق المطالب النفسية الكاملة للانسان مهما بلغت درجة رقيه واحساسه بمطالب الفرد .

وفى لقاء لى مع بعض اطفال مدينه بور سعيد لاحظت حبهم الشديد للنكتة ومعرفتهم للعديد منها .. ومن النكت الهزلية التى سمعتها من احدهم و ثارت الضحك بين الآخرين :

ــ واحد اعمى طلع له فى البخت نضارة .

ــ واحد اقرع طلع له فى البخت مشط .

والى جانب النكتة نجد الحكاية الهزلية وهى تختلف عن النكتة فى حيزها الزمانى اذ انها تستغرق زمنا اطول من النكتة .

---

(١) اشكال التعبير فى الادب الشعبى ــ د. نبيلة ابراهيم ــ دار نهضة مصر ــ ص ١٧٦ .

وان كان الاطفال يعجبون وينفعلون بالنكتة والحكاية الهزلية فهم أيضا ميالون لسماع اللغز او الفزورة .. والى جانب الفزورة القصيرة التى تأخذ شكل السجع او الايقاع المنظم هناك الفوازير التى نظمت شعرا ومن امثلتها هذا اللغز الذى نظمه الشاعر فى النار :

وآكلة بغير فم وبطن | لها الاشجار والحيوان قوت،
اذا اطعمتها انتعشت وعاشت | وان اسقيتها ماء تموت

ومن الشخصيات الفكهة التى يعجب بها الاطفال وينفعلون بها شخصية الاراجوز وهذه الشخصية هى مظهر من مظاهر الفن الشعبى .. ويقدم الاراجوز فقراته الخفيفة الضاحكة امام جماهير الاطفال فى الشوارع والميادين والاحياء الشعبية .. كما أن الوان الفنون الشعبية ومن بينها فن الاراجوز وخيال الضل تأخذ لها مكانا هاما فى الموالد والمواسم الدينية .. والى جانب هذه الفنون نجد الفرق الصوفية والدراويش وحلقات الذكر التى تعتبر مظهرا عاما من مظاهر التراث الشعبى .

والى جانب هذه الالوان من الفنون التى يعجب بها الاطفال .. نجد الوانا اخرى من الفنون ترتبط ارتباطا وثيقا بالتراث الشعبى مثل فن الزخرفة والرسم والصناعات الشعبية كصناعة السلال والفخار .. فهذه الاشكال كلها نجد فيها الطابع الشعبى والفن الشعبى الاصيل الذى تتناقله الاجيال ويظل نحسا فى قلوب وانفس الجماهير

الباب الثالث

الطفل والفنون الشعبية

تعتبر الفنون الشعبية بمختلف الوانها واشكالها التى ينقلها لنا التراث الشعبى فى مقدمة العوامل المؤثرة فى بناء شخصية الطفل وفى تكوينه النفسى والجسمانى . .

فالطفل يستجيب . . والطفل يتأثر بكل ما يصادفه فى حياته . . وعلامات المشاركة كما يقرر فالنتين (١) تبدو على الطفل السوي منذ السنة الثانية من عمره . . فالطفل منذ هذا السن يتأثر وجدانيا ازاء آلام الاطفال الآخرين او ازاء أحد الآباء . كما تضيف الدكتورة ك . بروجز من خلال ملاحظاتها لاطفال مدارس الحضانة لفترة بلغت ثلاث سنوات عددا من الامثلة من حالات المشاركة الوجدانية فتقول من المألوف جدا للاطفال البالغين ثلاثة أعوام من أعمارهم ان يحاولوا التخفيف عن الاخرين كروبهم وان يسهموا مساهمة فعالة فى مد يد العون اليهم (٢) .

وقد دفعت مسأله الاثر الذى تتركه الحكايات الخرافية والاساطير فى نفوس الاطفال الصغار الى ان توقف المانيا الغربية وفى برلين بالذات رواية الحكايات الخرافية والاساطير فى دور الحضانة (٣) ليشب جيل جديد لم ولن يسمع عن سندريلا وذات الرداء الاحمر وغيرها من القصص التى ظلت تروى للصغار عبر قرون طويلة . . ذلك انهم لا يريدون ان يعيش الصغار بعقولهم الناشئة فى ظل الخوف والرعب الناجمين عن هذه القصص التى تقدم ابطالا من الملوك وكبار التجار والنبلاء لا يستحقون الاحترام والتقدير من جانب الناشئين . . اذ ان هذه الشخصيات ليست النماذج التى يجب ان يكبر الصغار ولها فى نفوسهم ووجدانهم نوع من التبجيل والتقديس .

وقد تعددت الاختبارات التى تجرى على الاطفال لمعرفة ما يترك فى نفوسهم من اثار نتيجة لما يتعرضون له من عوامل تثير انفعالهم . . ومن هذه الاختبارات . .

— اختبار « وود ورث » لدراسات الثبات الانفعالى .

---

(١) سيكلوجية الطفولة والمراهقة — د. مصطفى فهمى — مكتبة مصر ص ١٨٩

(٢) المصدر السابق ص ١٨٦

(٣) عبد التواب يوسف — بحث حول الحقيقة والخيال عند الاطفال — عدد ٧ من دراسات وبحوث اذاعية — ص ٦٧

- طريقة التداعى الحر .
- اختبار بريس .
- اختبار الاتجاهات الانفعالية نحو الاسرة .
- اختبار مينسوتا المتعدد الاوجه للشخصية .
- اختبار « رودجرز » .
- مقياس الصحة النفسية الذى اعده الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل والعقيد سيد عبد الحميد مرسى .. وهو يشبه اختبار « وود ورث » فى طريقة عرضه للاسئلة والاجابة عليها بنعم أو لا .

وحتى استطيع ان أقدم صورة صادقة الى اكبر حد أعتمدت على اكثر من منهج من المناهج المعروفة لدراسة ما تتركه الفنون الشعبية من آثار نفسية لدى الاطفال .

المبحث الاول

ميول الاطفال للفنون الشعبية ومدى معرفتهم بها

لمعرفة ميل الاطفال للفنون الشعبية ومدى معرفتهم بها .. اخترت عينتين عشوائيتين من بيئتين مختلفتين . العينة الاولى من بور سعيد وتمثل الاحياء الراقية .. والعينة الثانية من قرية « ابو رواش » وتمثل الاحياء الشعبية .. ويبلغ عدد الاطفال فى كل عينة عشرة اطفال . وقد وجهت اليهم هذين السؤالين بحيث يرتبط السؤال الثانى باجابة الطفل عن السؤال الاول .

- يا ترى انت بتعرف ايه هيه الفنون الشعبية .
- ايه اللى بيعجبك منها .

وقد اتضح لى من اجابات المجموعتين ان الفنون الشعبيه عند غالبيتهم تعنى الاغانى الشعبية وان قلة منهم تربط بين مصطلح الفنون الشعبية واشكال الفن الشعبى .. ومع هذا فهم يعرفون الاشكال الاخرى بصفتها المجردة دون ربطها بما يسمى الفن الشعبى أو التراث الشعبى .. فهم يعرفون الحدوتة ويعرفون المثل ويعرفون النكتة .. ولا تتوقف معرفتهم بهذه الاشكال الى حد العلم بها فحسب .. ولكنهم يجيدون التعبير عنها ويلمون بالكثير منها .

ولمعرفة مدى الاستماع لاشكال الفنون الشعبيه .. اجريت اختبارا على عينة عشوائية من البيئة الشعبية قوامها عشرة اطفال ويتضح من الجدول

رقم (١) أن سبعة منهم يسمعون الحكايات الخرافية بينما نجد ثلاثة منهم لا يسمعون ومن بين الذين يسمعون نجد ثلاثة يحفظون بعض هذه الحكايات واربعة لا يحفظون ومن هذا يتضح لنا أن ٣٠٪ فقط من بينهم تسمع وتحفظ الحدوتة او الحكاية الخرافية .

واما الامثال الشعبية فيتضح لنا من الجدول رقم (٢) أن تسعة منهم يسمعون الامثال الشعبية بينما اشار طفل الى عدم معرفته بها . ومن بين الذين يسمعون يلاحظ أن غالبيتهم يعرفون بعض هذه الامثال ويقولونها ويعرفون ما تتضمنه من حكمة ومعنى وقد سبقت الاشارة الى بعض هذه الامثال التى تدور على السنة الاطفال .

والاطفال مع معرفتهم التامة ببعض اشكال التراث الشعبى .. يتجاوبون مع كل اشكاله .. ويميلون اليها بشغف وشوق يزيد كثيرا عن ميل الكبار لها.

المبحث الثانى

الحكاية الخرافية والاسطورة وكيف تؤثر فى نفسية الطفل

تنتشر الحكاية الخرافية والاسطورة فى الاحياء الشعبية والقرى اكثر من انتشارها فى المدن والاحياء الراقية .. ويرجع هذا الى انتشار اجهزة التليفزيون بشكل اكبر فى المدن والاحياء الراقية عنه فى القرى والاحياء الشعبية . ولهذا تعتمد تسلية الاطفال وخاصة فى ليالى الشتاء على الحكايات الشعبية التى يرويها احد الجدين او الابوين للاطفال الصغار .. وهذا بدوره يؤدى الى ظهور الاثر النفسى لهذه الحكايات بشكل اكبر على اطفال القرية والاحياء الشعبية .

وحتى يتضح هذا الاثر عمليا اخترت عينة عشوائية من تلاميذ مدرسة كامل الكيلانى الابتدائية بالقاهرة كنموذج من المدارس التى تضم اطفالا من بيئة شعبية وتمثل المجموعة عشرة تلاميذ من كلا الجنسين . وجلست مع كل طفل بمفرده والقيت عليه الحكاية التالية لمعرفة مدى استجابته للمثيرات الحسية الادراكية التى بها . تقول الحكاية :

احدى السيدات لم تكن تنجب الا اطفالا ذكورا .. وكانت تتمنى أن ترزق ببنت وفى أحد الايام توجهت بالدعاء الى الله أن يرزقها بنت حتى وان كانت هذه البنت غولة وكان أن استجاب الله لدعائها وانجبت بعد تسعة اشهر طفلة .. وبالطبع لم تكن تتصور الام أن هذه الطفلة غولة .. ولما جاء الليل .. نهضت المولودة من سريرها وسارت على قدميها وذهبت الى عشة الفراخ واكلت جميع الفراخ التى بها .. ورآها وهى تقوم بهذا العمل أخوها محمد .

وفي صباح اليوم التالي افتقدت الام الفراخ وسالت عنها فاخبرها ابنها محمد بأن اخته الطفلة غولة وهي التي اكلت الفراخ فلم تصدق الام والح عليهما ابنها وطلب ان يقتلوها لانها غولة فكذبوه ولم يصدقوه .. فقرر ان يترك البلد وان يذهب الى جهة اخرى . وسار محمد في طريق يمر بالغابة .. واثناء سيره راى ثلاثة اشبال صغار يصرخون من الجوع وبجوارهم امهم اللبوة وقد فقدت الحياة .. فاشفق على هذه الاشبال واخذها معه .. واستمر في سيره حتى وصل الى احد البلاد .. وهناك اقام في بيت عند سيدة عجوز وبدأ يعمل ليوفر الاكل والشرب له وللاشبال الثلاثة .

ومرت الايام .. وكبرت الاشبال وكبر محمد .. وقرر محمد ان يعود لبلده ليعرف ما حدث من امر اخته الغولة .. وقبل مغادرته بيت السيدة العجوز طلب منها أن تفتح الباب للاشبال او الاسود الثلاثة .. اذا احست انها تريد الخروج من البيت . وركب محمد على ظهر حصانه .. وانطلق سريعا الى بلده .. وعندما وصل الى البلد وجد اخته الغولة قد اكلت جميع اهل البلد ولم يبق الا ديك احمر ورآها وهي تقفز خلف الديك من سطح الى سطح لتأكله . فلما رات الغولة اخاها محمد تركت الديك واسرعت اليه ولما اقتربت منه ذكرته بما كان منه وكيف انه فتن عليها وقال انها غولة وقالت له ان دوره قد حان .. وبسرعة هجمت على الحصان وكسرت رجليه فقفز محمد واسرع جهة شجرة وصعد الى اعلاها وفي هذا الوقت كانت الغولة منهمكة في اكل الحصان .. ولما فرغت من اكله اتجهت نحو الشجرة وطلبت من محمد النزول لكي تأكله .. ولما وجد محمد نفسه محاصرا وانها لن تترك الشجرة .. نظر الى جهة البلدة التي جاء منها .. وصاح باعلى صوته مستنجدا باصدقائه الاسود الثلاثة .. وفي نفس اللحظة .. هاجت الاسود .. واظهرت رغبتها في مغادرة بيت السيدة العجوز .. واسرعت العجوز بفتح الباب لها .. فانطلقت مثل هبوب الريح في اتجاه الشجرة التي يجلس فوقها محمد . ولما رات الغولة الاسود وهي تقترب احست بان خطرا يهددها قادم اليها .. ولما دققت النظر عرفت انها اسود .. فاسرعت تريد الفرار ولكن الاسود كانت اسرع منها .. وامسكت الاسود بها وقتلتها شر قتلة واراحت العالم من شرها .. ونزل محمد من فوق الشجرة واحتضن اصدقاءه الاسود شاكرا لهم حسن صنيعهم .. وهكذا انتهت حكاية الغولة التي اكلت جميع اهل البلد ..

واثناء سردي للحكاية كنت اركز على الطفل لمتابعة الظواهر الخارجية التي تبدو عليه والتي تعكس ما تثيره هذه الحكاية من الرعب فيه .

ومن خلال سردي لها لاحظت التجاوب التام عند هؤلاء الاطفال .. كما لاحظت التعبيرات المختلفة على وجوههم اثناء ذكر الغولة واحسست رعشة تسري في اجساد بعضهم وخاصة الفتيات منهم .

فالطفل يميل للحكاية الخرافية .. ورغم الاحداث الخارقة والمهولة التي تصاحب احداث الحكاية الخرافية الشعبية نجده يحب سماعها ويستصيغ اعادتها اكثر من مرة على مسمعه . وأن لم يتبلور الاثر النفسي في اللحظة التي تسرد فيها الحكاية على مسمع الطفل نجد ذلك الاثر قد ارتسم في مخيلته لتظهر له صور ما سمعه في الحكاية عندما ينفرد في حجرته او عندما يسير ليلا في مكان مظلم حتى وان لم يكن بمفرده . وهذا ما يدعونا الى الحرص الشديد عند سرد الحكايات الخرافية والشعبية وخاصة ما يحتوى منها على احداث خارقة ويتعرض لاحديث الغيلان والعفاريت والجان وما شابه ذلك . فمثل هذه الحكايات اذا القيت على مسمع من الاطفال يجب ان تنقى من كل ما يثير فزع الطفل ويمكن اظهار صور هذه الخوارق بشكل ضاحك مسلى محبب الى نفس الطفل .. فالغولة يمكن ان تكون طيبة .. تصنع الخير وتقدم الخدمة للمحتاج .. والجان يمكن ان يكون خادما مطيعا مخلصا للانسان

ولمعرفة مدى خوف الاطفال من الظلام .. اخترت عينة عشوائية اخرى من أبناء قرية « ابو رواش » التي تقع قريبا من اهرامات الجيزة .. وتمثل العينة عشرة من الاطفال .. والقيت عليهم السؤالين التاليين

— يا ترى انت بتخاف من الظلام ؟

— يا ترى انت بتسمع حواديت ؟

ومن الجدول رقم (٣) يتضح ان خمسة من بينهم اعترفوا بانهم يخافون الظلام بينما ذكر خمسة آخرون أنهم لا يخافون من الظلام .. واحسست أن بعضهم قد تظاهر بالشجاعة وبعدم المبالاة من الليل .. ومع هذا فلا مفر من الاقرار بأن نصفهم فقط يخافون الظلام ، ويتضح من الجدول ايضا أن من بين الذين يخافون الظلام اربعة يسمعون الحكاية الخرافية بينما واحد فقط لا يسمع وإن الذين لا يخافون الظلام ثلاثة منهم لا يسمعون الحكاية الخرافية واثنان منهم يسمعونها .

من هذا يلاحظ ان نسبة كبيرة من الاطفال الذين يخافون الظلام والسير بالليل هم من الاطفال الذين يستمعون للحكاية الخرافية . وقد سألت احد الاطفال عن سبب خوفه من الظلام فذكر انه يخاف الظلام لان اخاه الاكبر روى له حكاية شيء يطارد الذي يسير ليلا .. فهو يخشى ان يطارده هذا الشيء المخيف .

واخترت طفلا آخر من بين الاطفال الذين يخافون الظلام .. وطلبت مقابلة والدته .. وفعلا تم اللقاء ودار حديث معها حول الحكايات الشعبية التي يستمع اليها داخل المنزل ومن الذى يسردها عليه وعلمت منها انها كثيرا ما تجلس مع ابنائها وتقص عليهم القصص المسلية التي يحبونها .. ولما سألتها عن ظهور الشخصيات الخارقة في الحكايات مثل الغولة والعفريت واشباههم

احابت بأن الحكاية لا تخلو من مثل هذه الشخصيات وسالتها ان كانت تخوفهم من الشخصيات المرعبة ان امتنعوا عن النوم ليلا فأجابت بانها تفعل ذلك احيانا لانها أحسن طريقة لدفعهم الى النوم . وطبعا مثل هذه الام لا يخطر بذهنها النتيجة المؤكدة لما تلجأ اليه من سرد القصص المخيفة الى جانب تخويف الطفل .. وهذه النتيجة تتمثل في زرع الخوف والرعب في نفس الطفل من الظلام والليل وحتى من البيت ان لم يكن النور ساطعا به .

المبحث الثالث

تجاوب الطفل مع الاغنية الشعبية

كما يتجاوب الطفل وينفعل بالحكاية الشعبية ويندمج مع القصة حتى انه يتصور نفسه مكان البطل .. ينفعل ويتجاوب مع الاغنية والموسيقى وخاصة الشعبية منها لما بها من ايقاعات محببه الى نفسه وقريبة من تكوينه .. ومن اليسير جدا ملاحظة الاطفال وهم يهتزون طربا ويتمايلون عندما يتعرضون لمؤثر غنائي يعتمد على الايقاعات . واندماج الاطفال مع الغناء الشعبي يترك في نفوسهم اثرا طيبا .. حيث انه يشيع السعادة والهناء في نفوسهم ويرضي رغباتهم وميولهم .

والاطفال الى جانب ان لهم اغانيهم الخاصة التي تتلاءم واذواقهم وطبيعتهم .. نجدهم لا يكتفون بها .. وينطلقون الى عالم الكبار واغانيهم فيرددون ما يسمعونه من اغان حتى وان لم يفهموا ما تحمله من معنى . وقد ذكر لي احد الاشخاص ان ابنته التي لاتتعدى السنوات الثلاث من عمرها تحب الاستماع الى اغنية للمطربة « وردة » تردد فيها عبارة « لما باعونا » والجزء الذي تحب الطفلة الصغيرة سماعه هو قول المطربة « لما باعونا » وعندها تثور فرحا وابتهاجا وتطلب اعادة هذا المقطع بعفوية صادقة ولا تهدأ الا بعد سماعه لس اقل من خمس مرات متتالية .. وكثيرا ما تنام على هذه الاغنية

ومثال هذه الطفلة كثير .. ولا ينكر احد حالة الابتهاج والسرور التي تصاحب الاطفال عندما يستمعون الى لحن شعبي وكيف انهم يرددون الكثير من الاغاني الشعبية المنتشرة هذه الايام وخاصة الاغاني المسجلة على اشرطة الكاسيت والتي تدخل كل بيت وتسمع في اي وقت .

وميل الاطفال الى سماع الموسيقى والاغاني بشكل كبير يدفعنا لان نستغل هذا الميل بتقديم كل ما يهم الطفل وما يجدر بنا ان نفهمه اياه من خلال الموسيقى والاغاني .. فهي الوسيلة الفعالة والمؤثرة والتي يمكن ان تؤتي بأطيب الثمار

الجـــداول

جدول رقم (١)

يبين نسبة الحفظ الى السماع بالنسبة للحكاية الخرافية

درجة الحفظ / درجة السماع	يحفظون	لا يحفظون	المجموع
يسمعون	٣	٤	٧
لا يسمعون	–	٣	٣
المجموع	٣	٧	١٠

جدول رقم (٢)

يوضح الجدول نسبة الحفظ الى السماع للمثل الشعبى

درجة السماع	يحفظون	لا يحفظون	المجموع
يسمعون	٨	١	٩
لا يسمعون	–	١	١
المجموع	٨	٢	١٠

جدول رقم (٣)

يبين الجدول العلاقة بين سماع الحكاية الخرافية والخوف من الظلام

درجة الحفظ / درجة السماع	يخاف الظلام	لايخاف	المجموع
يسمع	٤	٢	٦
لا يسمع	١	٣	٤
المجموع	٥	٥	١٠

مراجع البحث

١ – احمد أمين
قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية/لجنة التاليف والنشر

٢ – د. احمد زكي وآخرون
دراسات فى الفولكلور/دار الثقافة بالقاهرة .

٣ – د.احمد مرسى
الاغنية الشعبية/المكتبة الثقافية

٤ – اندرية ارتوس
طفلك ذلك المجهول/ترجمة عبد المنعم الزيادى مكتبة نهضة مصر

٥ – ارثر جيتس وآخرون
علم النفس التربوى ترجمة ابراهيم حافظ وآخرون – مكتبة النهضة المصرية .

٦ – الشيخ جلال الحنفى
الامثال البغدادية – بغداد ١٩٦٢

٧ – حامد عبد السلام زهران
علم النفس الاجتماعى – عالم الكتب

٨ – سليمان مظهر
اساطير من الشرق والغرب – مطابع الشعب

٩ – د. سيد خير الله
سيكلوجية الطفل الكفيف – مكتبة الانجلو .

١٠ – شوقى عبد الحكيم – اساطير وفولكلور العالم العربى – مطابع روزاليوسف

١١ – د. عبد الحميد يونس .
الهلالية فى التاريخ – دار المعرفة

١٢ – د. عبد الحميد يونس
الحكاية الشعبية – المكتبة الثقافية

١٣ – د. عبد العزيز عبد المجيد
القصة فى التربية – دار المعارف

١٤ – عبد المنعم [illegible]
الجماعات بين التنشئة والتنمية

١٥ – د. عز الدين اسماعيل
القصص الشعبى فى السودان – الهيئة العامة للكتاب

١٦ – فاروق خورشيد
اضواء على السير الشعبية – المكتبة الثقافية .

١٧ – فريد ريش فون دير لاين
الحكاية الخرافية – ترجمة د. نبيلة ابراهيم – دار القلم ببيروت

١٨ – د. مصطفى فهمى
سيكلوجية الطفولة والمراهقة – مكتبة مصر .

١٩ – د. ملاك جرجس
سيكلوجية الشخصية المصريه – روز اليوسف .

٢٠ – د. نبيلة ابراهيم
اشكال التعبير فى الادب الشعبى – دار نهضة مصر

٢١ – د. نبيلة ابراهيم
الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق – مكتبة القاهرة الحديثة

٢٢ – د. نجيب اسكندر
التفكير الخرافى – مكتبة الانجلو المصرية

٢٣ ـ يسرى جوهرية
الفنون الشعبية فى فلسطين ـ مركز
الابحاث الفلسطينى

٢٤ ـ يورى سوكولوف
الفولكلور قضاياه وتاريخه ـ ترجمة
حلمى شعراوى وعبد الحميد حواس
الهيئة العامة للكتاب .

٢٥ ـ مجلة الفنون الشعبية الاردنية
ـ العدد الثانى عشر .

٢٦ ـ مجلة الفنون الشعبية ـ مركز
الفنون الشعبية ـ العدد الثانى

٢٧ ـ مجلة الفن الاذاعى ـ الاعداد
٦٥ ، ٦٧

٢٨ ـ دراسات وبحوث اذاعية ـ
العدد السابع .

٢٩ ـ مجلة التراث الشعبى ـ مجموعة
اعداد .

٣٠ ـ جريدة الاهرام القاهرية ـ عدد
٢٠ـ١ـ١٩٧٩ .

محتويات البحث

جمهورية مصر العربية
وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات

المسلسل	الموضوع	السنة
١٠٣	٣٠٠٣	١٩٨٣